المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة المكرمة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة



آداب المعلم والمتعلم عند الأئمة الأربعة

إعداد الطالبة
رحاب بنت عبد السلام بن عبد المؤمن مكي

إشراف الأستاذ الدكتور
محمود بن محمد كسناوي
الأستاذ في قسم التربية الإسلامية والمقارنة

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير
في التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الثاني
١٤٢٤هـ / ١٤٢٥هـ

قال تعالى :ـ

﴿ هُو الذي بعث في الأميينَ رسُولاً منهم يتلوا عليهم ءآياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبينٍ ﴾ سورة الجمعة / ٢.

وقال عز من قائل :ـ

﴿ يَرفَعِ اللهُ الذينَ ءآمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات واللهُ بما تعملون خبير ﴾ سورة المجادلة / ١١.

قال صلى الله عليه وسلم :ـ

﴿ إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جُحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير ﴾ .

رواه الترمذي (سنن الترمذي ، كتاب العلم ، ص ١٩)

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام :ـ

﴿ إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب ﴾ .

رواه الإمام أحمد (المسند ، ج٥ ، ص٢٨٧ . رقم الحديث ١٧٧٤٦)

ملخص الرسالة

عنوان الدراسة : " آداب المعلم والمتعلم عند الأئمة الأربعة "

إعداد الباحثة : رحاب بنت عبد السلام بن عبد المؤمن مكي .

أهداف الدراسة :

١. التعرف على جملة الصفات والمهارات والآداب الضرورية للمعلم .
٢. التعرف على جملة الصفات والآداب الأساسية للمتعلم .
٣. التعرف على مجموعة التطبيقات التربوية لآداب المعلم والمتعلم عند الأئمة الأربعة .

منهج الدراسة : استخدمت الباحثة في الدراسة المنهج الاستنباطي .

فصول الدراسة : تتكون هذه الدراسة من الفصول التالية :

الفصل الأول : وهو فصل تمهيدي يشمل الإطار العام للبحث .
الفصل الثاني : وتناولت الباحثة من خلاله سِير الأئمة الأربعة .
الفصل الثالث : وعرضت الباحثة من خلاله الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم.
الفصل الرابع : أبانت فيه الباحثة آداب طالب العلم .
الفصل الخامس : عرضت فيه الباحثة التطبيقات التربوية لآداب المعلم والمتعلم عند الأئمة الأربعة وأهم النتائج والتوصيات والمقترحات ، وكان من أبرز النتائج :

١. أن عصر الأئمة الأربعة من أنضر العصور الإسلامية نشاطاً في التعليم .
٢. أخذ الأئمة الأربعة علمهم من المنبع الأصلي ، وتأثروا بمدرستي مكة والمدينة حيث جمعوا بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وهي الأصول الإسلامية الثابتة .
٣. أن عبادة الله وتوحيده هي الأصل الأساسي لمنهج التربية عند الأئمة الأربعة ، لذلك فإن الإخلاص في التعليم والتعلم هو الأساس في العمل التربوي عندهم .
٤. أن المبادئ التربوية عند أئمة المذاهب الأربعة تعتمد في تحقيق أهدافها على ترجمة العلم إلى عمل .
٥. أن آداب المعلم والمتعلم عند أئمة المذاهب الأربعة هي أساس الكثير من آداب المعلم والمتعلم التي ينادي بها التربويون في العصر الحاضر .

أما التوصيات فكان من أهمها :

١. ضرورة العودة إلى مصادرنا الإسلامية الأصيلة والمتمثلة في القران الكريم والسنة المطهرة .
٢. وجوب العودة إلى التراث الإسلامي الفكري الضخم ، والبحث فيه ، وفي آراء المفكرين والمربين المسلمين .
٣. ضرورة اقتران النظر بالتطبيق العملي في المجالات التربوية المختلفة .
٤. لابد أن تتم العملية التربوية عن طريق المشاركة بين المعلمين والمتعلمين ومساهمتهم في تنفيذ أهداف التربية الإسلامية في دقة وإتقان .

الإهـــداء

إلـى من قال فيهـما أعـز من قـائـل ﴿ وقـل رب ارحمهـما كما ربيـانـي صـغـيراً ﴾ الإسراء / ٢٤ . إلى والدتي الغـالية .. التي ربتـنـي .. وعـلمـتنـي أن أخـط بقـلمـي .. ووضـعـت عـلى طريق العـلم قـدمي .. ثم دعمـتنـي بدعـواتها الصـادقـة ..

إلـى زوجـــي .. وأبنـائـي .. وكـل أفـراد أسـرتي .. الذيـن تحمـلوا المـتاعـب عنـي في سبـيـل مواصـلة تعـليمي ..

إلـى كـــل معـلم .. وإلى كـل متـعـلم .. تـقديراً لجـهـوده .. واعـتزازاً بعـطائـه وسـعـيـه ..

.. أهـــدي لكـــم جمـيعاً جهـــدي الأول .. وأسـأل المـولى القـدير أن يجـعـله خـالصـاً لوجـهه الكـريـم ...

الـبـاحـثـة

شكر وتقدير

الحمد لله أولاً وأخيراً .. والشكر له سبحانه على ما أنعم به علي وما وفقني له وما مدني به من عون وقوة لإتمام هذا البحث . ثم يسرني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى سعادة المشرف على رسالتي ، الأستاذ الدكتور / محمود بن محمد كسناوي ، أستاذ التربية الإسلامية بقسم التربية الإسلامية والمقارنة ، جامعة أم القرى ، على ما أولاني من رعاية ، واهتمام ، وتوجيه ، وإرشاد ، فلولا حسن إشرافه بعد عون الله تعالى ، وسمو رعايته ، وتشجيعه ، ما قدر لهذا البحث أن يرى النور ، فقد وجدت منه كل العون أباً وأستاذاً .

وجزيل شكري ، وعظيم عرفاني ، أرفعه إلى والدتي الغالية ، سعادة الأستاذة الدكتورة / آمال بنت حمزة المرزوقي أبو حسين ، أستاذة التربية الإسلامية بقسم التربية الإسلامية والمقارنة ، جامعة أم القرى ، لما أسدته لي من عطاء متجدد ، وما بذلته معي من جهد ، وما تحملته معي من صعوبات واجهتني ، وما قدمته لي من نصائح بناءةٍ ، وتوجيهات هادفة ، كان لها أكبر الأثر في خروج هذا البحث إلى حيز الوجود ، فجزاها الله عني خير الجزاء .

كما أوجه الشكر والتقدير لأستاذيَّ الجليلين كلا من سعادة الأستاذ الدكتور/ محمد جميل بن علي خياط والدكتور/ عبد الناصر عطايا اللذين قبلا مناقشة رسالتي وتوجيهي .

وختاماً ، أتقدم بالشكر والعرفان لكل من مَدَّ لي يد العون والمساعدة في إعداد هذا البحث وإخراجه ، وأرجو أن أكون بما قدمت من عملٍ مستحقة لما بذله الجميع نحوي من جهد ورعاية ومساعدة .

والله ولي التوفيق .

الباحثة

قائمة المحتويات

المحتوى	رقم الصفحة

المحتوى	رقم الصفحة

المحـــتـــوى	رقم الصفحـة

(الفـــصـــل الأول)

التمـــهـيــدي

مقدمـــــة

الحمـد لله ، والصـلاة والسـلام علـى رسـول الله ، وعلـى آلـه وصـحبه ومـن والاه . وبعد ، يتضـمن القرآن الكريم توجيهات فـي الجوانب المعرفية ، والمهارات التي يحتاج إليها المرء في حياتـه ، والاتجاهـات اللازمة لصلاح سلوكه ، ومـن ذلـك قوله سبحانه وتعالـى : (هـو الـذي جعـل الشمس ضياء والقمـر نـورا وقدره منـازل لـتعلموا عـدد السنيـن والحسـاب ، مـا خلـق الله ذلـك إلا بالحـق ، يفصـل الآيـات لقـوم يعلمون) يونس / ٥

فهذا نـوع من العلـم متعدد الأبعـاد ، فيه المعـرفة النظـرية عن الفلك ، وحركة الشمس والقمر ، ومـا يتـرتب علـى ذلك مـن معرفة بالتقويم وحسـاب الأيـام والشهور والسنين ، ومـا يـرتبط بذلك مـن أنـواع شـتى مـن العمليات الحسـابية ، كمـا أن فـي هذه المعرفة مهارات يتعلمها الإنسان ، وهي كيفية إجراء العمليات الحسابية ، بل والفلكية ، وكيفية حسـاب مواقيت الصـلاة، وأوائـل الشـهور ، وما يرتبط بذلك كله من عمليات تتصـل بعمل النـاس وعبادتهم . هذه المعـرفة أيضـا تشـتمل علـى جانب آخر وهي أنها تحمل فـي طـياتها دليلا علـى أن الله هو الخـالق ، خلق الشمس والقمر بـالحق ولمصلحة النـاس ، وجعـل هـذه الآيـات ذكرى لأولئك الذين يدرسون العلم ويتعلمون ، فيستفيدون من العـلم فـي التعـرف علـى الله وعـبادته ، وفي تسيير أمـورهم الدنيوية والمعيشية ، ولـيس هـذا كلـه إلا مثـالا علـى شمول " التعليم " واتسـاع دائـرته (جلال . ١٩٧٧م . ص ١٧) .

وكان الفرد عندما يعتنق الدين الإسـلامي يجد في القرآن الكريم ما يساعده على أداء الصـلاة المفروضـة ويتبين منه شيئا من تعاليم دينه الجديد ، ويكون علامة على إسلامه . وكـان النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أو بعض الصحابة رضوان الله عليهم مثل أبـى بكر وأبـي بن كعب ، يتولـى تعليم المسلم الجديد هذا القدر المطلوب : سورة الحمد وسورة اقرأ باسم ربك الذي خلق ، أو سورة مريم ، أو سورة البقرة . ولما كان القرآن هو المصـدر الأول للعقيدة والشريعة والسلوك ، فقد كان النبي صلى الله عليه

وسلم يحب لكل مسلم أن يعي أكبر قدر منه ، فكان يحضهم على تلاوته ويحبب إليهم حفظه (علي . ١٩٩٢م . ص ١٥٩) .

كتب أهل المدينة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد العقبة الأولى أن " ابعث إلينا رجلا يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن " ، فبعث إليهم مصعب بن عمير ، الذي كان يأتي المدنيين في دورهم وقبائلهم فيدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن ، فيسلم الرجل والرجلان .

ويوضح الكتاب الذي كتبه النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم بتولية على بن الحارث بن كعب بنجران عام ١٠ هـ الواجبات التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكلف المربين إياها ، ومن أهمها : تبشير الناس بالخير ،وأمرهم به – تعليم الناس القرآن وتفهم ما فيه – نهي الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر – إخبار الناس بالذي لهم والذي عليهم – تبصير الناس بالجنة وبعملها ، وإنذارهم النار وعملها – تأليف الناس حتى يفقهوا في الدين – تعليم الناس معالم الحج وسننه وفريضته – تعليم الناس الوضوء والصلاة – أخذ خمس الله من الغنائم (ابن هشام . ١٩٥٥م . ص ٥٩٤)

هكذا كان المعلم والمربي الإسلامي في ذلك الوقت الذي يمثل الفجر الحقيقي للتعليم الإسلامي والتربية الإسلامية ، شخص قوي الإيمان ، صادق العهد ، مخلصا للدين متحمسا له ، ولذا عهد إليه النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس إلى هذا الدين وإقرائهم كتابه وتعليمهم أصوله ، كما أسند إليه قيادتهم روحيا في الصلاة ، وزمنيا في الحكم ، فهو داعية ، ومعلم ، وإمام ، وحاكم ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه كان يقضى بين الناس ويفتيهم (معاذ بن جبل و أبى بن كعب و زيد بن ثابت) تبين لنا أنه يقوم في المجتمع الإسلامي بدور قيادي يتولى فيه توجيه الناس ، وتنمية فطرهم وتعديل سلوكهم وصياغة تفكيرهم ، وتشكيل قيمهم ، وفقا لتعاليم الدين الجديد .

وفي آيات متعددة من القرآن الكريم ، نجد أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت مهمة (تربوية) بالدرجة الأولى ، وأنه هو نفسه كان المعلم الأول في

الإسلام ، يقول عز وجل : (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) البقرة /١٥١

ويقول سبحانه (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران /١٦٤

ويقول سبحانه (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الجمعة / ٢

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو آيات القرآن الكريم على المسلمين ويشرحها لهم ، ويعمل على تطهير نفوسهم ، ويعلمهم الحكمة ، ويعلمهم أمورا شتى لم يكونوا على علم بها ، والمصطفى صلى الله عليه وسلم يعرف وظيفته – كمعلم – ويستشعر مسئوليته التعليمية التي حملها إياه ربه سبحانه وتعالى عندما يقول : " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني " أخرجه الإمام أحمد (المسند ، ج٥ ، ص٢٨٧ . حديث رقم ١٧٧٤٦) .

ولأهمية التربية والتعليم في الإسلام ، اقتدى أئمة الفقه الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل بالرسول ﷺ في الاهتمام بالعلم ولذا حرصوا على ممارسة مهنة التعليم ، عملا ، بتعليمهم الناس ما أعانهم الله عليه من اجتهادات في توضيح وبيان شريعة الإسلام ، ونظريا ، ببيانهم الكثير مما ينبغي العلم به لحسن ممارسة التعليم والتعلم .

يرى الغزالي أن مهنة التعليم أشرف مهنة ، وأفضل صناعة يستطيع الإنسان أن يتخذها حرفة له ، ويستدل على ذلك بكثير من الأدلة النقلية ، ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فرأى مجلسين : أحدهما فيه قوم يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه ، وفى الثاني جماعة يعلمون الناس ، فقال : " أما هؤلاء فيسألون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما " ، ثم ذهب إليهم وجلس معهم . رواه ابن ماجة (سنن ابن ماجة ، ج١ ، ص٨٤ . حديث رقم ٢٣٣) .

كما استدل بكثير من الأدلة العقلية ، ومنها : أن شرف الصناعة يعرف بشرف محلها ، كفضل الصياغة – صياغة الذهب – على الدباغة ، إذ محل الأولى للذهب ، ومحل الثانية جلد الميتة ، ولا شك أن لصناعة التعليم من شرف المحل أوفى حظ وأتم نصيب ، فإن المعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم ، ولا يخفى أن أشرف جزء في الإنسان هو قلبه ، والمعلم مشتغل بتكميل القلب وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل .

والتعليم في نظر الغزالي هو : إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة (الغزالي . د.ت . ص ١١) .

موضوع الدراسة :

نظرا لأنه لم تكن هناك في بداية الأمر تفرقة بين (العالم) و (المعلم) ، حيث كان العالم معلما ، فإننا نستطيع أن نعتبر ما قيل توصيفا وتقريظا للعلماء إنما هو مما ينصب على المعلمين ، وبطبيعة الحال شريطة أن يستوفوا الشروط الواجب توافرها في العالم المسلم الحقيقي ...

لقد قال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير) المجادلة / ١١ ، فلم يقتصر رفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم على درجة واحدة يمتازون بها عن سائر الناس ، وإنما جعل ذلك منطلقا في درجات صاعدة حتى تتناسب مع مقادير العلم الذي يكتسبه كل فريق منهم ، فيحتل الدرجة المكافئة لمستواه .

كذلك قال تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم) آل عمران / ١٨ ففي هذه الآية جعل الله العلماء في الأرض شهداء على ألوهيته ووحدانيته ، وعلى قيامه فيما خلق بالقسط ، وعلى أنه هو وحده العزيز القادر الذي لا يغلب ، والحكيم في كل شئ ، ولا يكون حكيما ما لم يكن عليما ، وفي جعلهم شهداء على هذه الحقائق العظمى دلالة على أن الباحثين

العلميين المنصفين لابد أن تتجلى لهم في طرق بحثهم براهين هذه الحقائق ، التي تجعلهم يشهدون بها شهادة الاستدلال العقلي المكافئ للمشاهدات الحسية التي تسمح الشهادة بها (الميداني . د.ت . ص٣) .

ومن هذا المنطلق عنى المسلمون بتلقي العلم من المعلمين عناية ملحوظة ، وكرهوا كراهية شديدة أن يتلقى الطالب العلم من الكتب وحدها ، وكان بعضهم يقول : من أعظم البلية تشييخ الصحيفة ، أي أن يتعلم الناس من الصحف . وروي عن مصعب بن الزبير أنه قال : " إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ، ويحفظون بأحسن ما يكتبون ، ويكتبون بأحسن ما يسمعون ، فإذا أخذت الأدب ، فخذه من أفواه الرجال ، فإنك لا تسمع إلا مختارا ولؤلؤا منثورا " . وروي عن الإمام الشافعي قوله : (مَن تفقه من بطون الكتب ، ضيع الأحكام) . (الكناني . د.ت . ص٨٧)

وإذا كانت حركة التعليم الإسلامي عقب البعث في بداياتها ، كان من الطبيعي أن تكون لحمة هذا التعليم وسداه : القرآن الكريم ، فهو الحامل للرسالة التي بعث للدعوة إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان طبيعيا بعد ذلك أن تنشأ علوم وتظهر دراسات وفروع تدور حول هذا الكتاب السماوي فهما وشرحا واستنباطا وبيانا لما جاء فيه من عقائد وأحكام ومعاملات . ولما كان (الفقه) يدور حول استنباط الأحكام من القرآن والسنة ، لجأ الناس إلى الفقهاء يلتمسون منهم العلم والرأي بأحكام الدين في مختلف المجالات .

من أجل هذا كان علماء الفقه أبرز علماء الفكر الإسلامي إسهاما في التعليم ، والأقرب إلى قلوب الناس ، حيث إن ما يتحدثون فيه هو أحكام الشريعة ومبادئها ، وبالتالي يصبح لمؤسسي المدارس الفقهية الرئيسة في الإسلام قيمتهم العلمية والتربوية والتاريخية مما يستوجب الكشف عن إسهاماتهم في هذا الباب .

وبما أن (المعلم) و (المتعلم) من أهم عناصر العملية التربوية لذا فإنه من الأهمية بمكان البحث عن إسهامات أئمة الفقه الأربعة في أدب المعلم والمتعلم ، ذلك

أن إبراز أفكارهم وتوجيهاتهم تعتبر من متطلبات العملية التربوية حالياً وخاصة من حيث الآداب التي ينبغي أن يكون عليها كل منهما حتى يمكن لعمليتي التعليم والتعلم أن تؤتى أكلهما بالدرجة التي تعين على إثراء الفكر التربوي الإسلامي .

تساؤلات الدراسة :

انطلاقاً مما سبق يمكن بلورة تساؤلات البحث في التساؤل الرئيسي التالي :

ما الآداب التي ينبغي أن يتصف بها المعلم والمتعلم من وجهة نظر الأئمة الأربعة ؟

ويتفرع من هذا التساؤل ، الأسئلة الفرعية التالية :

١- ما الآداب التي ينبغي أن يكون عليها المعلم عند الأئمة الأربعة ؟

٢- ما الآداب التي ينبغي أن يكون عليها المتعلم عند الأئمة الأربعة ؟

٣- ما التطبيقات التربوية لآداب المعلم والمتعلم عند الأئمة الأربعة ؟

أهميــة الدراسة :

إذا كان الفكر التربوي له روافده المختلفة ، سواء من مصدر الدراسات الفلسفية ، أو الدراسات الصوفية ، أو دراسات علماء الكلام ، أو المشتغلين بالعلوم الطبيعية والرياضية ، أو الأدباء ، فإن الرافد الفقهي تظل له الصدارة بالنسبة لكل هذه الروافد ، من حيث اعتماده بصفة أساسية على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وعدم تأثره بفلسفات أجنبية ، وخاصة اليونانية كما نرى عند عدد غير قليل من الفلاسفة المسلمين .

ومن هنا فإن دراسة إسهامات أئمة الفقه الأربعة التربوية تصبح قوة دفع كبيرة لإثراء الفكر التربوي الإسلامي ، وخاصة بالنسبة لطرفي العملية التربوية المعلم والمتعلم .

ولعل استقراء بعض الكتابات التربوية المتخصصة الرائدة في تاريخ الفكر التربوي الإسلامي تؤكد لنا من غير شك كيف أن المربى عندما ينسج على منوال الفقهاء في البحث والتحليل يعين إلى حد كبير على جلاء المسألة التربوية وترسيخ قواعدها وبيان مبادئها وإرساء أسسها ، ونسوق مثالا على ذلك ما كتبه كل من محمد بن سحنون المتوفي عام ٢٥٦هـ ، الفقيه المالكي في كتابه (آداب المعلمين) ، وكذلك

أبو الحسن علي بن محمد خلف المعروف بالقابسي ، الفقيه القيرواني ، المولود عام ٣٢٤ هـ في رسالته (الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين) ، وكتاب (جامع بيان العلم وفضله) لعمر يوسف بن عبد الله بن محمد عبد البر القرطبي المولود بقرطبة عام ٣٦٨هـ ...إلى غير هذا وذلك من أعلام الفكر التربوي الإسلامي.

ومن المأمول أن تكون الدراسة الحالية خطوة على الطريق ، تضيف لبنة جديدة إلى بناء التربية الإسلامية ، وتؤصل لعدد من المبادئ والأفكار التربوية ،حيث أن الإنتاج العلمي والفكري لأئمة الفقه الأربعة هو الذي يمثل أصالة الفكر الإسلامي ويبعد عنا تلك الشبهات التي لغط بها بعض المستشرقين عندما زعموا أن العقل الإسلامي غير مبدع وغير مبتكر .

كما تكمن أهمية الدراسة في أنه من الممكن أن يستفيد منها المعلمون ، خاصة في الجانب المتعلق بالآداب التي ينبغي أن يتحلى بها معلم اليوم أثناء تدريسه وعمله داخل وخارج الفصل .

كما أن الدراسة تعتبر مفيدة للإداريين والمرشدين في المدرسة وذلك لتوجيه الطلاب بالآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلمون أثناء دراستهم ونشاطاتهم المدرسية .

أهداف الدراسة :

العمل العلمي مثله مثل أي جهد إنساني ، لا يسير بصورة عشوائية ، وإنما يسعى إلى تحقيق جملة من المقاصد والأهداف ، بل إن العمل العلمي يزيد عن غيره من صور ومجالات النشاط الإنساني بأنه في سعيه هذا لتحقيق المقصود منه يحرص على النهج العلمي والتفكير المنطقي ، والتخطيط السليم .

لذا فإن الدراسة تهدف إلى الآتي :

١- التعرف على جملة الصفات والمهارات والآداب الضرورية للمعلم .

٢- التعرف على جملة الصفات والآداب الأساسية للمتعلم .

٣- التعرف على مجموعة التطبيقات التربوية لآداب المعلم والمتعلم عند الأئمة الأربعة .

منهج الدراسة :

لأن الدراسة الحالية تسعى إلى بحث جملة الآراء التي قال بها أئمة الفقه الأربعة مما يتصل بآداب كل من المعلم والمتعلم ، كان لزاما الاستناد إلى منهج للفقهاء نفسه في البحث والدراسة ، من حيث الاعتماد بالدرجة الأولى على القرآن الكريم ، ثم على السنة النبوية الشريفة .

ولأن الباحثة تهدف إلى تقصي آراء الأئمة الأربعة في آداب المعلم والمتعلم فإن البحث لا يقف عند مجرد الوصف أو تقصي العوامل التاريخية التي أثرت في الآراء لذا سيعتمد البحث بالدرجة الأولى على المنهج الاستنباطي الذي يمكن تعريفه بأنه الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة . (فودة .١٩٩١م . ص ٤٢)

حدود الدراسة :

اقتصرت الدراسة على ما كتبه كل من الأئمة الأربعة : مالك ، والشافعي ، وابن حنبل ، وأبي حنيفة ، فيما يتصل بآداب المعلم والمتعلم ، وذلك في جوانب الالتزام الديني وحسن الخلق والتمكن العلمي ، دون التطرق إلى مسائل فقهية إلا ما قد يكون له اتصال بقضية الدراسة .

خطوات الدراسة :

حتى يمكن للدراسة أن تحقق الأهداف التي سبق تحديدها ، والمبنية على ما سبق طرحه من تساؤلات ، فإن الدراسة يُقتَرح أن تسير وفقا للخطوات التالية ، حيث تشكل كل خطوة فصلا من الفصول الدراسة :

١- سير الأئمة الأربعة (لمحة موجزة عن الأئمة الأربعة) .

٢- آداب العَالِم المعلم عند الأئمة الأربعة .

٣- آداب المتعلم عند الأئمة الأربعة .

٤- التطبيقات التربوية لآداب المعلم والمتعلم عند الأئمة الأربعة - خلاصة واستنتاجات ومقترحات .

وبطبيعة الحال ، فإن دراسة ما هو مشار إليه في الخطوات ٢ و ٣ ، تم من خلال كتابات الأئمة الأربعة .

الدراسات السابقة :

من الدراسات التي تمكنت الباحثة من الوقوف عليها الدراسات التالية :

- دراسة فاطمة محمد السيد علي : " **الفكر التربوي عند الإمام الشافعي** " (فاطمة محمد السيد علي : الفكر التربوي عند الإمام الشافعي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية – جامعة المنوفية ، ١٩٨١)

وقد اشتملت الدراسة على الفصول التالية :

الفصل الأول : " الاتجاه الفقهي في التربية "

وتعرضت الباحثة فيه لتعريف الفقه وأصوله ومصادره وأقسامه ، ووضحت علاقة الفقه الإسلامي الكبيرة بالتربية حيث أن الفقه الإسلامي يمد التربية بالأحكام والقواعد والنظريات والقوانين والتربية تحولها إلى سلوك مرغوب فيه .

الفصل الثاني : " عصر الإمام الشافعي "

عرضت فيه الباحثة عصر الإمام الشافعي من حيث الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية والدينية بهدف التعرف على العوامل التي كونت فكر الإمام الشافعي .

الفصل الثالث : " حياة الإمام الشافعي وفقهه "

تناولت فيه الباحثة حياة الإمام الشافعي وفقهه بدءاً من مولده ونشأته وتعليمه وتربيته وشيوخه وتلاميذه واختلاف فقهه عن فقه غيره وأخيراً وفاته .

الفصل الرابع : " مصادر الفكر التربوي الإسلامي وموقف الشافعي منها "

من حيث التربية في القرآن الكريم وفي السنة النبوية ، والشافعي ودور الإجماع في التربية ، والشافعي ودور القياس في التربية .

الفصل الخامس : " الفكر التربوي عند الإمام الشافعي "

وتناولت فيه الباحثة فلسفة التربية عند الإمام الشافعي ومناهج التعليم ومراحله والعلاقة بين المعلمين والعلماء .

الفصل السادس : " الفكر التربوي المعاصر والفكر التربوي عند الإمام الشافعي "

وفي هذا الفصل تناولت الباحثة الفكر التربوي الرأسمالي والفكر التربوي عند الإمام الشافعي ، ثم الفكر التربوي الشيوعي المعاصر والفكر التربوي عند الإمام الشافعي ، واختتمته بالعرض للفكر التربوي في البلاد العربية في مواجهة فكر الإمام الشافعي .

الفصل السابع : " النتائج والتوصيات "

عرضت فيه الباحثة مجموعة النتائج الخاصة بفصول الدراسة تذكر منها :

١. فيما يتصل بفلسفة التربية ترى الباحثة ضرورة وضع فلسفة تربوية واضحة للبلاد العربية تشتق من طبيعة المجتمع العربي المسلم ، ومن تراثه العربي الأصيل ، كما يجب أن تراعى ظروف الإنسان والمجتمع الإسلامي الأصيل ، ولا شك أن هذه السمات توافرت في فلسفة التربية عند الإمام الشافعي .
٢. فيما يتصل بالمناهج تؤكد الباحثة أن الاهتمام بعلوم الدين يفيدنا في إعداد الإنسان العابد الصالح .
٣. فيما يختص بطرق التدريس ترى الباحثة أنه ليست العبرة في كثرة الطرق ، ولا في الارتباط بطرق التدريس الحديثة في البلاد الغربية ، ولكن العبرة بالطريقة التي تمكن من تربية أجيال واعية تعمل من أجل التجديد والابتكار لصالح المجتمع العربي ، ثم التطبيق والعمل بكل ما يمكن العمل به ، وقد نجحت طرق الإمام الشافعي في تكوين الشخصية المعنوية الممتازة .
٤. فيما يختص بمراحل التعليم ترى الباحثة ضرورة وجود تناسق وتوازن وترابط بين مراحل التعليم المختلفة بحيث تكون كل مرحلة مكملة للمرحلة التي تليها . وكذلك يجب تنمية فكرة التعليم المستمر لدى الطلبة .

٥. فيما يختص بإعداد المعلم توصي الباحثة بالاقتداء بالامام الشافعي في طريقة إعداده للمعلمين ، وحرصه على أن يكون هذا الإعداد إعداداً قويا متيناً متكاملاً متوازناً .

- دراسة إلهام عزمي عبدالفتاح بكري : " **نماذج من بعض آراء الإمام أبي حنيفة التربوية** " (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية – جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦)

وقد اشتملت الدراسة على الفصول التالية :

<u>الفصل الأول</u> :

تناولت الباحثة فيه عصر الإمام أبي حنيفة وحياته من حيث اسمه ونشأته وشيوخه وتلاميذه وطلبه للعلم والتعرف على سيرته .

<u>الفصل الثاني</u> :

خصصته الباحثة لعرض العوامل والقوى الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أدت إلى تكوين مذهبه .

<u>الفصل الثالث</u> :

تناولت فيه الباحثة مفهوم التربية والجوانب التربوية عند الإمام أبي حنيفة من حيث العقيدة والأخلاق والاجتماع والفكر .

<u>الفصل الرابع</u> :

عرضت الباحثة فيه الآراء التربوية عند الإمام أبي حنيفة مقدمة نموذجا لبعض آرائه التربوية من حيث طلب العلم والرفق بالمتعلم من خلال وصاياه لتلاميذه .

<u>الفصل الخامس</u> :

عرضت فيه الباحثة مناهج وطرق التدريس والمباديء التربوية عند الإمام أبي حنيفة ، موضحة العلوم المحمودة والعلوم المذمومة أو العلوم النقلية والعقلية في عصره .

<u>الفصل السادس</u> :

خصصته الباحثة لعرض مفهوم العلم والعلاقة بين العالم والمتعلم .

- دراسة ناجي سالم مريزق الصاعدي : " **المضامين التربوية لفكر الإمام أبي حنيفة** " (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، المدينة المنورة ، ١٩٨٨)

وقد اشتملت الدراسة على الفصول التالية :

<u>الفصل الأول</u> :

تناول فيه الباحث الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعوامل التي أدت لتكوين فكر الإمام أبي حنيفة .

<u>الفصل الثاني</u> :

عرض فيه الباحث عوامل ازدهار الحركة الفكرية في ذلك العصر ، وأهم المراكز الثقافية التي برزت فيه ، وأهم العوامل التي اشتهرت ، وأمكنة التعليم ومراحله والإنفاق على التعليم وطرق التدريس التي عرفت في ذلك العصر .

<u>الفصل الثالث</u> :

عرض فيه الباحث حياة الإمام أبي حنيفة ، مولده ونسبه ونشأته وتعليمه وشيوخه وتلاميذه وآثاره الفكرية ثم محنته ووفاته .

<u>الفصل الرابع</u> :

تناول فيه مصادر الفكر التربوي عند الإمام أبي حنيفة والتي تمثلت في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة والإجماع والقياس والاستحسان والعرف .

<u>الفصل الخامس</u> :

خصصه الباحث لعرض مفهوم التربية ومجالاتها وميادينها عند الإمام أبي حنيفة ثم الأهداف التربوية ، وتفصيل ميادين التربية عنده والتي هي : التربية العقدية والتربية الفكرية والتربية الخلقية والتربية الاجتماعية .

<u>الفصل السادس</u> :

عرض فيه الباحث أهم آراء أبي حنيفة في التعلم والتعليم بدءاً بمباديء التعلم وانتهاءاً بتفصيل جوانب التعليم التي هي : منهاج الدراسة ، البرنامج الدراسي ، مدة الدراسة ، طرق التدريس وأساليبه ، آداب العالم ، آداب المتعلم ، والعلاقة بين المعلم وتلاميذه .

<u>الفصل السابع</u> :

النتائج والتوصيات ومنها :

١. أن تستمد التربية في البلاد الإسلامية مقوماتها من القرآن الكريم والسنة المطهرة .
٢. ضرورة التركيز على الميادين التربوية التي تتطلب ظروف المجتمع ومطالب العصر التركيز عليها مع عدم إغفال الميادين الأخرى .
٣. أثناء عملية التعليم لابد من مراعاة مبادئ التعلم من أجل تحقيق أفضل للنتائج .
٤. يجب أن يتسم المنهاج الدراسي بالمرونة التي تسمح بحذف أو إضافة مقررات دراسية تبعا لظروف العصر ومطالب المجتمع على أن تكون هناك مواد أساسية ثابتة في مقدمتها القرآن والكريم والسنة المطهرة .
٥. أن ما يحدد طريقة التدريس المستخدمة هو مستوى المتعلم وطبيعة المادة المتعلمة على أنه يجب أن تحقق الطريقة المستخدمة إيجابية الطالب أثناء الدرس .
٦. ينبغي أن يكون الارتباط مستمراً بين المعلم وتلاميذه دون التقيد بمكان أو زمان محدد
٧. على كل من المعلم والمتعلم الالتزام بالآداب الإسلامية ، وأن تكون العلاقة بين المعلم وتلاميذه علاقة الأب بأبنائه بكل ما تعنيه هذه العلاقة من معان تربوية .

وقد اختلفت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أن الباحثة تناولت آداب المعلم والمتعلم عند أئمة المذاهب الأربعة حيث لم توجد دراسة سابقة تناولت المحتوى نفسه إلا ما كان مقتصراً منها على إمام واحد من الأئمة الأربعة .

(الفصل الثاني)

سير الأئمة الأربعة

سيـر الأئمـة الأربعـة

تناولت أمهات الكتب في التراجم والسير والتاريخ الإسلامي والتربية حياة الأئمة الأربعة ، غير أن الكتابة عن حياتهم في هذه الكتب قد جاءت على طريقة التدوين والتسجيل التي كتب بها مؤرخو الإسلام .

ومن ثم تحاول الباحثة في هذا الفصل تناول سير الأئمة الأربعة ، مُركزة على نشأتهم وتطور حياتهم وتكوينهم العلمي والثقافي ، بهدف التعرف على مؤثرات حياتهم ومكونات شخصياتهم ، ومنابع فكرهم واتجاهاتهم العلمية والفكرية ، بما يساعد على استخلاص الجوانب التربوية في حياتهم ، حيث يتضح في هذا الفصل أن الأئمة الأربعة قد بذلوا جهداً كبيراً في سبيل طلب العلم ، وبذلوا جهداً أكبر في سبيل نشره ، حتى استطاعوا أن يصبحوا بحق أئمة المسلمين .

وسوف يتم تناول سير الأئمة هنا وفقاً لترتيبهم الزمني والعمري ، حيث يكون البدء بسيرة الإمام أبو حنيفة ، يليه الإمام مالك ، فالإمام الشافعي ، ثم الإمام أحمد بن حنبل ، رحمهم الله جميعاً .

أولاً : الإمام أبو حنيفة :-

١. اسمه ونسبه ومولده : (٨٠ هـ - ١٥٠ هـ)

هو النعمان بن ثابت بن زوطي . فارسي الأصل . (البغدادي . د.ت . ص ٣٥٨) ولد بالكوفة عام ٨٠ هـ . (الذهبي . ١٤٠١هـ . ص ٣٩١) وقد أطلق عليه التاريخ اسم " أبي حنيفة " ، وبهذه الكنية ذاع واشتهر وتناقلت الأجيال علمه وفكره ، فهو الذي قال فيه الشافعي - رحمه الله - : (الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة) . وتوفي أبو حنيفة في بغداد عام ١٥٠ هـ ، فيكون قد عاش نحو ٧٠ سنة ، منها نحو ٥٢ سنة في العصر الأموي ، ونحو ١٨ سنة في العصر العباسي . إذ أنه ولد في عهد عبد الملك بن مروان ، ومات في خلافة المنصور . (البغدادي . د.ت . ص ٣٤٦)

٢. نشأته وطلبه للعلم :

نشأ أبو حنيفة في الكوفة ، وهي حينئذٍ تشهد نشاطاً علمياً كبيراً ، فكان من الطبيعي أن يتجه أبو حنيفة الذكي المتوقد الذهن إلى العلم ، ويروى أنه بدأ يتعلم النحو ، والنحو في أصله قواعد مضبوطة وأقوال مسموعة ، ولا مجال فيها لتصرف العقل أو تعدد الرأي ، ولكن أبا حنيفة رجل يحب استخدام عقله ورأيه ، فأراد بمقتضى هذا أن يجمع كلمة " كلب " على " كلوب " كما تجمع كلمة " قلب " على " قلوب " ، فقالوا له : لابد أن يكون جمع " كلب " هو " كلاب " فضاق ذرعاً بهذا الحجر ، وترك النحو الذي لا قياس فيه إلى تعلم الفقه الذي وجد فيه قياسا يرضي عقله وذكاءه . (الشرباصي . د.ت. ص١٩) وهذا يدل على ميل أبو حنيفة إلى الأخذ بالرأي من أول الطريق .

اشتغل أبو حنيفة - رحمه الله – بعلم الكلام إلى جوار الفقه ، ولكنه ما لبث أن تركه واتجه للفقه وأقبل عليه ، ويوضح لنا زفر بن هذيل أسباب تحوله ذلك فيروي قائلاً : (سمعت أبا حنيفة يقول : كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغاً كان يشار إليّ فيه بالأصابع ، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن

أبي سليمان ، فجاءتني امرأة يوماً فقالت : رجل له امرأة أمة ، أراد أن يطلقها للسنة ، كم يطلقها ؟ فأمرتها أن تسأل حماداً ، ثم ترجع فتخبرني ، فسألت حماداً فقال : يطلقها وهي طاهرة من الحيض والجماع تطليقة ، ثم يتركها حتى تحيض حيضتين ، فإذا اغتسلت فقد حلت للأزواج ، فرجعتْ ، فقلت : لا حاجة لي في " الكلام " وأخذت نعلي فجلست إلى حماد ، فكنت أسمع مسائله فأحفظ قوله ، ثم يعيدها من الغد فأحفظ ويخطئ أصحابه ، فقال : لا يجلس في صدر الحلقة بإزائي غير أبي حنيفة) . (الشعكة . ١٣٩٩هـ . ص١٣)

ويتضح من النص السابق أن أبا حنيفة درس علم الكلام وبلغ فيه مبلغاً عظيماً أكسبه قوة في المناظرة وقدرة في المنطق ، ومرانا على الأسلوب العقلي في التفكير غير أسلوب المتحدثين الذين يكتفون في الحديث ببحث الرواة فهو (لم ينقطع عن المجادلات مع بعض الفرق المختلفة حينما يتطلب الموقف ذلك حيث أثر عنه العديد من المجادلات لأصحاب الفرق ومن ذلك مناظرته للقدرية الذين دخلوا الكوفة وأخذوا يتكلمون في القدر في مسجدها) . (ابن عبد البر . د.ت . ص ١٦٤)

يقول أبو حنيفة وهو يحدث تلاميذه عن شيء من أخبار نشأته (لمَّا أردت طلب العلم جعلت أتخير العلوم وأسأل عن عواقبها وقيل لي : تعلم القرآن ، فقلت : إذا تعلمت القرآن وحفظته فما يكون آمري ؟ قالوا تجلس في المسجد ويقرأ عليك الصبيان والأحداث ثم لا تلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو يساويك في الحفظ فتذهب رياستك ، فقلت : وإن سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني ؟ فقالوا : إذا كبرت وضعفت حدثت واجتمع عليك الأحداث والصبيان ، ثم لا تأمن أن تغلط فيرموك بالكذب فيصير عاراً عليك في عقلك ، فقلت لا حاجة لي في هذا ، ثم قلت : أتعلم النحو ، فقلت : إذا حفظت النحو والعربية ، ما يكون في آخر أمري ؟ قالوا : تقعد معلماً ، فأكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة وهذا لا عاقبة له ، فقلت : فإذا نظرت في الشعر فلم يكن أحد أشعر مني ما يكون في أمري ؟ قالوا : تمدح هذا فيهيب لك ، أو

يحملك على دابة ، ويخلع عليك خلعة ، وإن حرمك هجوته فصرت تقذف المحصنات ، قلت لا حاجة لي في هذا ، قلت : فإن نظرت في الكلام ما يكون أمري ؟ قالوا : لا يسلم من النظر في الكلام من مشنعات الكلام فترمى بالزندقة ، فإما أن تؤخذ فتقتل ، وإما أن تسلم فتكون مذموماً ملوماً ، قلت : فإن تعلمت الفقه ؟ فقالوا : تسأل وتفتي وتطلب للقضاء وإن كنت شاباً ، قلت : ليس في العلوم شيء أنفع من هذا فلزمت الفقه وتعلمته) . (البغدادي .د.ت. ص ٣٣١)

هكذا يقدم الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان درساً لتلاميذه عن مراحل تعلمه ، وهو فقيه كبير ذو حلقة وصاحب مجلس فيصنع دستوراً لفكره ، ويوضح منهجه في الفقه ، ويصدر أحكاماً على أولئك الذين ابتغوا طريقاً غير طريق الجماعة ، ونهجوا سبيلاً غير سبيل السلف . وقد أودع معظم هذه الآراء في كتابه " الفقه الأكبر " و " العالم والمتعلم " ، ومن خلالهما يبين لتلاميذه أهمية علم الفقه والهدف من تعلمه والنتائج المترتبة عليه .

غير أنه جدير بالذكر أن أبا حنيفة رضي الله عنه نشأ في بيت من بيوت التجارة بالكوفة وكانت تدر عليه الرزق الوفير ، وكان ينفق من ربحه على المشايخ والمتحدثين ، وأنه كان يجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة فيشتري بها حوائج الأشياخ والمتحدثين وأقواتهم وكسوتهم وجميع ما يحتاجونه ، ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم ويقول لهم : (أنفقوا من حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله . فإني ما أعطيتكم من مالي شيئاً ، وإنما هو مال الله) . (البغدادي . د.ت . ص ٣٦٠)

وواضح أن عمل أبي حنيفة قد أكسبه علماً وخبرة ذلك أنه على علم بالحياة المالية والعملية ، كما أن التجارة كانت تدر أرباحاً كبيرة عليه بفضل ما اشتهر به صاحبها من الأمانة والورع .

أما عن قصة تحوله من التجارة إلى طلب العلم فيقول : (مررت يوماً على الشعبي وهو جالس فدعاني فقال لي : إلى أين تختلف ؟ قلت : أختلف إلى

السوق ، قال : لم " أعن الاختلاف إلى السوق " ، هل عنيت الاختلاف إلى العلماء ؟ قلت له : أنا قليل الاختلاف إليهم ، فقال لي : لا تغفل ، وعليك النظر في العلم ومجالسة العلماء ، فإني أرى فيه يقظة وحركة . ويمضي الإمام الأعظم قائلاً : فوقع في قلبي من قوله فتركت الاختلاف إلى السوق وأخذت العلم فنفعني الله بقوله) . (ابن عبد ربه . ١٣١٠هـ . ص٤١٥)

ويذهب أبو حنيفة إلى حلقات العلماء ومجالس الشيوخ في علوم شتى ويأخذ من كل منها بطرف ، وعندما أراد أن يتخصص في علم بذاته يجيده وينتفع به في الدنيا والآخرة ، اتجه لدراسة الفقه الذي به يرتفع شأن الدارس ويسمو قدره ،حيث الالتزام بالكتاب والسنة ومتابعة السلف الصالح ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وفي ذلك يقول مالك بن مغول (رأيت أبا حنيفة يوماً فسأل عن مسألة فألقاها على أصحابه فعيوا عن جوابها ، فقال فيهم ثم اطرق طويلاً ورفع رأسه إلى السماء وعيناه تدمعان وقال : اللهم إنك تعلم أني إنما أريد به وجهك) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص ١٠٣)

ويوضح أبو حنيفة لتلاميذه " طلاب العلم " بأن دارس الفقه لا يستطيع أن ينال فيه النجاح ما لم يتعلم ويقرأ ويحفظ القرآن الكريم ، وكذا الحديث الشريف رواية وفهماً وكذلك اللغة العربية والنحو إجادة وإتقاناً والأدب دراسة وإلماما ، فهذه العلوم جميعاً تعتبر أدوات ضرورية لمن يريد أن يكون فقيهاً ناجحاً .

وخلاصة القول .. أن الإمام أبا حنيفة قد تثقف بكل الثقافة الإسلامية التي كانت في عصره .. حفظ القرآن الكريم على قراءة عاصم ، وعرف قدراً من الحديث ، وقدراً من النحو والأدب والشعر ، وجادل الفرق المختلفة في مسائل الاعتقاد وما يتصل به .

٣. شيوخه :

قبل الشروع في ذكر شيوخ الإمام أبي حنيفة فإنه تجدر الإشارة إلى أن كُتَّاب المناقب يذكرون أنه التقى ببعض الصحابة ، وبعضهم

يذكر أنه روى عنهم أحاديث ، وذكر بعضهم أسماء كثيرين من الصحابة الذين التقى بهم ورآهم . منهم : أنس بن مالك ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وعبد الله بن الحارث بن جزء ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، وسهل بن سعد الساعدي ، وغيرهم . (الكردري . ١٤٠١هـ . ص ٩-١٦) وكثير من العلماء يرى أن أبى حنيفة وإن التقى ببعض الصحابة إلا أنه لم يروي عنهم ولحتجوا بعدة أشياء منها أن أئمة أصحابه الأكابر كأبي يوسف ومحمد وابن المبارك وعبد الرزاق وغيرهم لم ينقلوا عنه شيئا من ذلك ولو كان لنقلوه ، فإنه مما ينافس المحدثون ويعظم افتخارهم به ، ومنها أن كل سند فيه أنه سمع من صحابي لا يخلو من كذاب ، ومنها أنه أول أمره اشتغل بالاكتساب حتى أرشده الشعبي إلى الاشتغال بالعلم (الهيثمي . ١٤٠٣ هـ . ص ٣٦)

ولعل هذا يكون أقرب إلى الصواب ، لذا فإنه يمكن القول أن أبى حنيفة قد التقى ببعض الصحابة الذين امتد بهم العمر إلى عصره ولكنه لم يروي عنهم . هذا بالنسبة لروايته عن الصحابة رضوان الله عليهم ، أما بالنسبة للتابعين فإن العلماء مجمعون على أنه التقى ببعضهم وجالسهم ودارسهم وروى عنهم وتلقى فقههم ، إذ كانت سنه تسمح باللقاء والتلقي والرواية (أبو زهرة . د.ت .ص٦٦)

وذكر الذين ترجموا لأبي حنيفة كثيراً من شيوخه مثل " ابن الحارس الكندي ، ت ٧٨ هـ " و" علقمة بن قيس النخعي ، ت٦٢ هـ " و" مروان بن الأجدع الهمداني ، ت ٦٣ هـ " و" أسود بن يزيد النخعي ، ت ٩٥ هـ " و" إبراهيم النخعي ، ت ٩٥ هـ " و" عامر بن شرحبيل الشعبي ، ت ١٠٤ هـ " و " حماد بن أبي سليمان ، ت ١٢٠ هـ ". (البغدادي . د.ت . ص٣٢٤)

هؤلاء رجال مدرسة العراق ، وكان لكل منهم يد في تشكيل هذه المدرسة ، وهم بطبيعة الحال كوفيون في أكثرهم ، تلقى عنهم الإمام أبو حنيفة في موطنه الكوفة التي كان الفاروق عمر بن الخطاب يسمي أهلها رأس أهل الإسلام حيناً، وحيناً آخر كان يسميهم رمح الله ، وكنز الإيمان وحجة العرب ، وكان

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول أنهم جمجمة الإسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء. (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٣٩)

وقد أخذ أبو حنيفة الفقه عن الكثير منهم ولكن أستاذه الذي أخذ عنه أكثر علمه حماد بن أبي سليمان الأشعري ، وكان حماد أوسع العلماء فقها وكانت له حلقة في مسجد الكوفة يجلس فيها المتعلمون يعلمهم ويسألونه ويفتيهم، وقد لزمه أبو حنيفة نحو ثمانية عشر عاماً لما رأى من علمه، وقد كان يقول (حماد أعلم من رأيت) ، وقد لزم أبوحنيفة أستاذه حماداً حتى مات ١٢٠هـ، وكان أبوحنيفة في سن الأربعين. (الكردري . ١٤٠١هـ . ص٨٩)

ويقول أبوحنيفة تعظيماً وإجلالاً لأستاذه حماد (ما صليت صلاة منذ مات حماد إلا واستغفرت لـه مع والداي ، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علماً) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٥٦)

وخلاصة القول أن أباحنيفة في ملازمته لأستاذه لم تكن تلك الملازمة تامة ، فقد تلقى فقه غيره في رحلاته إلى الحج ، وقد كان كثير الحج وهو في هذه الأثناء يدارس غيره ، وينقل ويتصفح ويوازن يعلم ويتعلم ، فقد لزم مكة بضع سنين مجاوراً البيت الحرام ، وفي هذه المجاورة التقى بتلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما وأخذ عنهم فقه القرآن الكريم وفقهه حتى لقد قيل عنه ترجمان القرآن ، فكان هذه فرصة انتهزها أبوحنيفة لدراسة فقه الآثار ، وفقه القرآن ، هذا بالإضافة إلى ما سبق أن درس من فقه القياس ، ويؤكد هذا قوله : (أخذت العلم عن أصحاب عمر عن عمر وعن أصحاب علي عن علي ، وعن أصحاب عبدالله عن عبدالله ، وما كان في وقت ابن عباس على وجه الأرض أعلم منه) . (البغدادي . د.ت . ص٣٣٤)

هؤلاء جميعاً وكثيرون غيرهم كانوا شيوخ أبي حنيفة في طلب العلم إلا أن حماد ابن أبي سليمان كان في مقدمة علماء الكوفة بل علماء المسلمين ، فقد تخرج في حلقته أكثر من إمام ، وتعلم في ساحته أكثر من فقيه ، فقد كان أحد أفقه ثلاثة بين علماء عصرهم هم الزهري ، وقتادة ، وحماد، الذي لزمه

أبوحنيفة وأخذ من غيره أيضاً من شيوخ مكة والمدينة ، فتتلمذ على أيديهم ، واستوعب فقههم ، وهضم علمهم ، ثم أخذ يُعمل فكره، ويحكم رأيه دون خروج على نص أو تصادم مع أثر،ومن ثم اضطلع بتدوين الفكر الإسلامي.

٤. جلوسه للتدريس :

يحدثنا أبوحنيفة عن بداية تفكيره بالإستقلال عن شيخه حماد ابن أبي سليمان في حلقة خاصة به وذلك بعد أن صَحِب شيخه حماد عشر سنين حيث يقول : (فصحبته عشر سنين ثم نازعتني نفسي الطلب للرياسة فأحببت أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسي ، فخرجت يوماً بالعشي وعزمي أن أفعل فلما دخلت المسجد فرأيته لم تطب نفسي أن أعتزله فجئت وجلست معه ، فجاءه في تلك الليلة نعي قرابة له قد مات بالبصرة وترك مالاً وليس له وارث غيره ، فأمرني أن أجلس مكانه ، فما هو إلا أن خرج حتى وردت علي مسائل لم أسمعها منه ، فكنت أجيب وأكتب جوابي فغاب شهرين ، ثم قدم فعرضت عليه المسائل ، وكانت نحواً من ستين مسألة ، فوافقني في أربعين وخالفني في عشرين ، فآليت على نفسي أن لا أفارقه حتى الموت . (فلم أفارقه حتى مات) . (البغدادي . د. ت . ص٣٣٣) ، فنرى أن ذلك الموقف جعل الإمام أباحنيفة يدرك أنه مهما بلغ من العلم فإنه لا يزال أمامه الكثير الذي يجب أن يتعلمه لذلك لم يفارق شيخه حماد إلا بعد أن توفي وكان قد صحبه ثماني عشرة سنة . (البغدادي . د.ت . ص٣٣٣)

ومات حماد ، وجاء لأبي حنيفة طوعاً واختياراً ما حدثته نفسه بأن يناله قبل الأوان ، وجلس للتدريس ، واستمع إليه من يمكن تسميتهم بالتلاميذ الكبار ، فلم يكن جلساؤه من عامة الناس ، ولا من البادئين الشادين في العلم والمعرفة ، بل كان فيهم من له نصيب أي نصيب في التحصيل والفقه ، حتى أن رجلاً قال يوماً في مجلس وكيع بن الجراح الفقيه : أخطأ أبوحنيفة . فقال له وكيع : كيف يقدر أبوحنيفة أن يخطئ ، ومعه مثل أبي يوسف وزفر في قياسهما، ومثل يحيى بن أبي زائدة وحفص بن غياث وحبان ومندل في حفظهم

الحديث ، والقاسم ابن معن في معرفته باللغة العربية ، وداود الطائي وفضيل ابن عياض في زهدهما وورعهما ؟ من كان هؤلاء جلساءه لم يكد يخطيء ، لأنه إن أخطأ ردوه . (الشرباصي . د. ت . ص٢٥)

وإن كان كلام وكيع هذا يدل من جهة على أن جلساء أبي حنيفة كان فيهم علماء بصراء بمختلف العلوم ، وكانوا يستطيعون أن يصححوا له أخطاءه، فإن هذا الكلام نفسه يدل بمضمونه من جهة أخرى على أن علم أبي حنيفة كان من الكثرة والدقة بحيث يصلح صاحبه ليجلس مجلس التدريس والإفتاء بين أمثال هؤلاء .

كانت حلقة أبي حنيفة في الكوفة تضم " ثلاثة أرباع العلم " ذلك أن رجلاً تكلم في أبي حنيفة كلاماً غير مرضي فسمعه ابن سريج فنهره قائلاً: مه يا هذا فإن ثلاثة أرباع العلم مسلمة له بالإجماع والربع الرابع لا يسلمه لهم ، قال : وكيف ؟ قال : لأن العلم سؤال وجواب ،وهو أول من وضع الأسئلة ، فهذا نصف العلم ، ثم أجاب عنها ، فقال بعض: أصاب ، وقال بعض: أخطأ ، فإذا جعلنا صوابه بخطئه صار له نصف العلم الباقي ، والربع الرابع ينازعهم فيه ولا يسلمه لهم . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص٦٣)

ولم يقتصر أبوحنيفة في تعليمه على الكوفة بل أخذ ينشر علمه في كل مكان يذهب إليه ، حيث كان العلماء يغتنمون مجيئه ويحثون تلاميذهم على الاستفادة من علمه، فعلى سبيل المثال كان ياسين الزيات بمكة إذا قدمها أبوحنيفة يصيح في الناس بأعلى صوته : ويقول : (يا أيها الناس اختلفوا إلى أبي حنيفة واغتنموا مجالسته وخذوا من علمه فإنكم لم تجالسوا مثله ولن تجدوا أعلم بالحلال والحرام منه فإنكم إن فقدتموه فقدتم علماً كثيراً) . (المكي. ١٤٠١هـ . ص٢٩٢)

٥. تلاميذه :

كان تلاميذ أبي حنيفة قسمان : قسم ملازم له دائم التلقي عنه ، وقسم آخر يسمع القدر الذي يروقه من العلم ، ثم يقفل عائداً إلى بلده . إلا أن عدد

الملازمين له بلغ ستة وثلاثين حيث يقول أبوحنيفة : (أصحابنا هؤلاء ستة وثلاثون ، منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء ومنهم ستة يصلحون للفتيا ، ومنهم اثنان يؤدبان القضاة وأصحاب الفتوى ، وأشار إلى أبي يوسف وزفر) . (الصيمري. ١٤٠٥هـ . ص ١٥٨)

وفي طليعة هؤلاء التلاميذ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ابن حبيب الأنصاري الكوفي، المولود سنة ثلاث عشرة ومئة ، والمتوفي سنة اثنتين وثمانين ومئة . وكان فقيراً في أول أمره ، فاضطر أن يعمل بيديه ، وكانت لديه رغبة في العلم ، فأعانه عليها أبوحنيفة بالمال والرعاية .

ومن تلاميذ أبي حنيفة أبوعبدالله محمد بن الحسن الشيباني ، المولود سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، والمتوفي سنة تسع وثمانين ومئة ، وقد جلس إلى أبي حنيفة زمناً طويلاً، ومات أبوحنيفة والشيباني ما زال دون العشرين من عمره ، وهذا يدل على تبكير نبوغه واستعداده للتفقه .

ومن تلاميذ أبي حنيفة زفر بن الهذيل ، المولود سنة عشر ومئة ، والمتوفي سنة ثمان وخمسين ومئة ، وقد سبق أبا يوسف ومحمد في التلقي عن أبي حنيفة ، وتولى قضاء البصرة ، وكان أهل العلم فيها يكرهون أباحنيفة ، ويسيئون به الظن ، فجعل زفر ينقل إليهم من الأقوال والآراء ما يعجبون به ويستحسنونه ، ثم يقول لهم بعد ذلك : هذا قول أبي حنيفة . فيقولون متعجبين : ويحسن هذا أبوحنيفة ؟ فيقول لهم : نعم . وأكثر من هذا . فلم تزل حاله معهم على هذا حتى رجع كثير منهم عن بغض أبي حنيفة إلى محبته . (الشرباصي . د.ت. ص ٢٧)

وجدير بنا ألا نغمط هؤلاء التلاميذ حقهم وجهدهم ، فإذا كان لشيخهم حق الأستاذية ومكانة الموجه ، فقد كان لبعض هؤلاء التلاميذ فضل كبير في نشر المذهب الحنفي وتخليد ذكرى صاحبه في عقول الناس.

٦. مؤلفاته :

ساد اعتقاد عند أكثر الذين كتبوا عن أبي حنيفة أن الإمام لم يترك كتباً مؤلفة ، وإنما هي كتب ألفها تلامذته بإملائه ومراجعته ، لكن ما ذكره الموفق المكي غير ذلك حيث أكد على (أن أبا حنيفة أول من دوّن علم الشريعة ، لم يسبقه أحد من قبله ، ويمضي المكي في قوله ذاكراً أن الصحابة والتابعين لم يفعلوا ذلك لأنهم كانوا يعتمدون على قوة فهمهم وجعلوا قلوبهم صناديق علمهم ، ونشأ أبو حنيفة بعدهم فرأى العلم منتشراً ، فخاف عليه الخلف السوء أن يضيعوه ، فلذلك دونه أبو حنيفة ، فجعله أبواباً مبوبة وكتباً مرتبة ، فبدأ بالطهارة ثم بالصلاة ، ثم بسائر العبادات على الولاء ، ثم بالمعاملات ، ثم بالمواريث) (المكي . ١٤٠١هـ . ص ١٣١)

ولقد ذكر ابن النديم لأبي حنيفة عددا من المؤلفات وهي : الفقه الأكبر ، ورسالة العالم والمتعلم ، ورسالة إلى عثمان البتي ، وكتاب الرد على القدرية ، والعلم شرقاً وغرباً بعداً وقرباً . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص١٨٤)

ولقد قيل إن كتاب الفقه الأكبر يحتوي على ستين ألف مسألة ، وهي ثروة فقهية لو لم تذهب بها الأقدار وتضيعها صروف المحن التي حلت ببغداد ومناطق كثيرة في العالم الإسلامي لكانت مداداً نفيساً للمسلمين في القضايا الفقهية والمسائل الدينية .

ليست هذه الكتب هي كل ما ترك أبو حنيفة من مؤلفات ، وإنما الحقيقة أن كثيراً من الكتب التي ألفها أصحابه وبخاصة الصاحبين أبي يوسف ومحمد بن الحسن ليست إلا كتبا للإمام ، أملاها عليهما وراجعها بنفسه وأقرَّ محتواها ، فهي وإن حملت اسم غيره فإن ذلك لا يعني أنها ليست كتبه مثل كتاب السير الصغير ، وكتاب السير الكبير اللذين يحملان اسم محمد بن الحسن . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ١٨٥)

وقد كان أبو حنيفة يلقي مسألة مسألة ، يقلبها ويسمع ما عندهم –يعني تلاميذه –ويقول ما عنده ، ويناظرهم حتى يستقر أحد الأقوال فيها ، ثم يثبتها أبو يوسف في الأصول ، حتى أثبت الأصول كلها . (المكي . ١٤٠١هـ . ص١٣٣)

ثانياً : الإمام مالك :-

١. اسمه ونسبه ومولده : (٩٣ هـ - ١٧٩ هـ)

هو مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي ، ولد في المدينة ، والأشهر أنه عربي الأصل ، وأمه تنتمي إلى قبيلة أزد واسمها العالية بنت شريك الأزدية ، ويقول في مولده (ولدت سنة ثلاث وتسعين هجرية) . وتوفي في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة هجرية ودفن بالبقيع . فيكون قد عاش نحو ستة وثمانين عاماً . (السيوطي . د . ت . ص ٧)

٢. نشأته وطلبه للعلم :

نشأ الإمام مالك بالمدينة وعاش فيها فطلب العلم في سن مبكرة ، وهذا ما يؤكده قول مالك حينما أراد طلب العلم بعد حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف (فألبسته أمه أحسن الثياب وعممته ، ثم قالت : اذهب فاكتب الآن ، وكانت تقول : إلى ربيعة فتعلم علمه مثل أدبه) . (عياض . د ت . ص ١١٥) وكذلك كان يذهب إلى ابن هرمز فيقول (كنت آتي ابن هرمز من بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل) . (ابن فرحون . ١٣٥١ هـ . ص ٢٥)

اجتهد مالك في طلب العلم من كل نواحيه وكان يجل العلم والعلماء ، ومن أخبار تفرغ مالك للعلم وانقطاعه لتحصيله ، أنه لم يكن يعرف لنفسه يوم راحة متى كان اقتناص العلم مواتياً ، حتى لو كان اليوم يوم عيد ، بل أنه كان ينتظر العيد لعلمه أن أحداً لا يزاحمه في ذلك اليوم .

ويقص مالك خبر درس العيد هذا فيقول (شهدت العيد ، فقلت : هذا يوم يخلو فيه ابن شهاب ، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه ، فسمعته يقول لجاريته : انظري إلى الباب ؟ فنظرت ، فسمعتها تقول : مولاك

الأشقر مالك ، قال : أدخليه ، فدخلت ، فقال : ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك - وكأنه يقول له في أدب ما الذي جاء بك اليوم وهو يوم عيد ؟ - قلت : لا ، قال : هل أكلت شيئاً ، قلت : لا ، قال : أطعم ، قلت : لا حاجة لي فيه . قال : فما تريد ؟ قلت : تحدثني ، قال لي : هات . فأخرجت ألواحي فحدثني بأربعين حديثاً ، فقلت : زدني ، قال : حسبك إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحُفاظ ، قلت : قد رويتها ، فجبذ الألواح من يدي ثم قال : حدّث ، فحدثته بها ، فردها إليَّ وقال : قم فأنت من أوعية العلم) . (عياض . د.ت . ص ١٢١) فهذه الرواية تدل على أن مالكاً بدأ برواية أحاديث رسول الله ﷺ ، فهي الدعامة التي أقام عليها فقهه .

وكان مالك لفرط حرصه على حفظ أحاديث رسول الله التي يلقيها ابن شهاب في حلقته يحمل معه خيطاً ، فكلما انتهى ابن شهاب من رواية حديث عقد مالك عقدة في الخيط وفي النهاية يعرف كم من الأحاديث رُوِيَت وذلك بمراجعة عدد العقد ، ويراجع مالك الأحاديث في ذاكرته فإذا هي تسعة وعشرون لا غير وقد نسي حديثاً ، فيلقى الزهري ويسأله عنه ، فيقول له الزهري : ألم تكن بالمجلس ؟ ، فيجيب مالك : بلى ، فيقول الزهري : لِم لم تحفظ ؟ فيقول مالك : ثلاثون وإنما ذهب عني واحد ، وهنا تظهر الدهشة على وجه الزهري ويردف قائلاً : لقد ذهب حفظ الناس ، ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته ، ثم يقول لمالك : هات ما عندك ، فيسأله مالك عن الحديث الذي نسيه فيجيبه . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٣٠٢)

ويروى أن الإمام مالك - رحمه الله – أراد في أول أمره أن يشتغل بالغناء ، فنصحته أمه بترك ذلك وتعلم الفقه ، فانتصح . ويروى أنه لمّا أبدى لأمه رغبته في الغناء قالت له : يا بني أن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلفت الناس إلى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه . والظاهر أنها أرادت بذلك صرفه عن الغناء فقط ، إذ اشتهر عن مالك أنه كان حسن الوجه . (الشرباصي . د.ت . ص ٧٢)

واتجه الإمام مالك إلى كل ما يتصل بعلم الرواية والآثار ، ثم اتجه إلى فقه الرأي ، ولكنه لم يكن كالرأي الذي كان عند أهل العراق وهو القياس ، بل إن أساس هذا الرأي التوفيق بين النصوص والمصالح المختلفة . يقول الدراوردي (رأيت مالكاً وأبا حنيفة في مسجد رسول الله ﷺ بعد العشاء الآخرة ، وهما يتذاكران ويتدارسان حتى إذا وقف أحدهما على القول الذي قال به وعمل عليه أمسك أحدهما عن صاحبه من غير تعسف ولا تخطئة لواحد منهما) .(الصميري . ١٤٠٥هـ . ص ٨١) فأبو حنيفة يمثل مدرسة الرأي ، ومالك يمثل مدرسة الحديث ، وكلا الاثنين تأثر بالآخر دون تعصب أو تخطئة.

وكان الأمام مالك ـ رحمه الله ـ محباً للعلم والعلماء فيحث تلاميذه على طلب العلم الذي ينفعهم ، ومن ذلك إجابته لتلاميذه عندما سألوه في طلب العلم فقال (حسن جميل ، ولكن أنظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه) .(ابن الجوزي .١٣٥٥هـ.ص١٠١)

وتعظيم مالك للعلم جعل أهل العلم والسلطان يعظمونه ويقدرونه فقد روي أن هارون الرشيد بعث إلى مالك فقال له : يا أبا عبدالله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ ، فقال مالك : أعز الله أمير المؤمنين . إن هذا العلم منكم خرج ، فإن أنتم عززتموه يعز ، وإن أذللتموه يذل ، والعلم يؤتى ولا يأتي . فقال : صدقت . (طاش كبرى زادة . ١٩٦٨ م . ص ٨٦)

إن أعظم ما خدم به مالك السنة والآثار ، كتابه القيم " الموطأ " ولقد لبث في تأليفه نحو أربعين سنة ، جمع فيه الحديث الصحيح في نظره ، وأضاف إليه أقوال الصحابة والتابعين وفتاويهم ، ورتبه على أبواب الفقه . ويذكر مالك سبب تأليفه الموطأ فيقول (لقيني الخليفة أبوجعفر المنصور في الحج ، فقال لي : إنه لم يبق عالم غيري وغيرك . أما أنا فقد اشتغلت بالسياسة وأما أنت فضع للناس كتاباً في السنة والفقه ، تجنب فيه رخص ابن عباس ، وتشديداتِ عبدالله بن عمر ، وشواذ ابن مسعود ، ووطئه توطئة ، قال مالك :

فلقد علمني التأليف من يومئذ). (طاش كبرى زادة . ١٩٦٨ م . ص ١٧) فقد استطاع مالك من خلال كتابه " الموطأ " أن يضع حداً لأهل الأهواء من أصحاب البدع والغايات السياسية والشخصية الذين تظاهروا بالنص والإيمان ، وفي ذلك قال الشافعي - رحمه الله - عن مالك (مالك سيد من سادات أهل العلم ، وهو إمام في العلم والفقه ، ثم قال : ومن مثل مالك متبع لآثار من تقدم مع عقل وأدب) . (ابن الجوزي . ١٣٥٥ هـ . ص١٠١)

٣. شيوخه :

أكثر مالك من جلوسه إلى الشيوخ ، فقد أخذ العلم على تسعمائة شيخ ، منهم ثلاثمائة من التابعين ، وستمائة من تابعيهم ، ممن اختارهم وارتضى دينهم وفقههم وقيامهم بحق الرواية وشروطها ، وخلصت الثقة بهم ، وترك الرواية عن الذين لا يعرفون الرواية ، حتى ولو كانوا أهل صلاح ودين ، قال ابن عيينة: ما كان أشد انتقاء مالك للرجال وأعلمه بشأنهم ، وقال ابن حبان : كان مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة ، وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث ، ولم يكن يروي إلا ما صح ،ولا يحدث إلاّ عن ثقة ، مع الفقه والدين والفضل والنسك . (الكتاني . ١٣٩٢هـ . ص ٤٤)

لقد كان ربيعة الرأي أول الفقهاء الذين جلس إليهم مالك من علماء المدينة ، وكان إذ ذاك طفلاً ثم عاد إلى الجلوس إليه بعدما نما عوده وبلغ مبلغ الشباب ، وكانت لزومه فترة لزومه لابن هرمز متوسطة بين فترتي تلمذته لربيعة .

وربيعة الرأي هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ المديني المتوفي سنة ١٣٠هـ ، ولقد أخذ مالك من ربيعة الفقه والحديث والأدب ، وكان لسلوك ربيعة وأناقته أثر في سلوك مالك وأناقته ، وامتدت صحبة مالك لربيعة طوال حياة ربيعة . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٣٠٥)

وكان الإمام مالك - رحمه الله - يقول (ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن) .(البغدادي . د . ت . ص ٤٢١)

ومن شيوخ الإمام مالك ـ رحمه الله ـ أبوبكر عبدالله بن يزيد المعروف بابن هرمز ، المتوفى في المدينة المنورة سنة ١٤٨ هـ ، وكان ابن هرمز شيخ مالك الثاني من حيث الترتيب الزمني ، أما من الناحية العلمية فهو شيخه الأول ، فقد لزمه مالك سبع سنين لزوماً متصلاً لا يخلط به أحداً من الشيوخ . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٣٠٨)

وكان ابن هرمز على وفرة علمه ، ومكانته العلمية لا يسرع في الإجابة على المسائل ، بل يؤثر الأناة وطول التفكير قبل الإجابة ، ثم ينتهي إلى قول : لا أدري ، ولم يكن ابن هرمز يقول ذلك في مجال توجيه الأسئلة إليه وحسب ، وإنما كان ذلك مذهبه في العلم ومنهجه في التعليم ، ذلك أن الإمام مالك يروي أنه سمع شيخه ابن هرمز يقول : ينبغي أن يورّث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون إليه ، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري. (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٣١٠).

ومن أشياخ مالك أبوبكر محمد بن مسلم المشهور بابن شهاب الزهري ، وهو مدني أصيل ، منسوب إلى زهرة جد رسول الله من ناحية أمه ، ومن ثم فله برسول الله صلى الله عليه وسلم نسب وقرابة ، وهو تابعي صغير ، فقد لقي بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهم .

وقد كان ابن شهاب موضعاً لثقة الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، فقد كتب في الآفاق: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أعلم بالسنة الماضية منه ، كما أن عمر بن عبدالعزيز أمره بتدوين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يطوف على العلماء ومعه الألواح والصحف يكتب ما يسمع . (الذهبي . د .ت . ص ١٠٦)

ومن أشهر شيوخ مالك يحيى بن سعيد الأنصاري ، وعبدالله بن ذكوان المشهور بأبي الزناد ، ومحمد بن المنكدر التيمي القرشي ، هؤلاء هم شيوخ الإمام مالك فضلاً عن مئات آخرين لم تذكر أسماؤهم ، فهم على كثرتهم

يمثلون أنماطاً بشرية مختلفة ، فمنهم عالم الأثر ومنهم عالم الرأي ومنهم عالم فقه السنة والرأي معاً .

وإن دارساً مجداً ذا عقل ومثابرة وذكاء ودين ، هؤلاء شيوخه ، مؤهل كل التأهيل لأن يكون فقيهاً كبيراً ، ومحدثاً ثبتاً ، وإماماً عظيماً .

٤. جلوسه للتدريس :

توسع مالك أولاً في طلب العلم ، ووصل ليله بنهاره حتى نضج عقله المتفتح . وبدت منه دلائل القدرة على التدريس ، وشهد له سبعون شيخاً من شيوخ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس مالك في مسجد الرسول بالمدينة ، يحدث ويفتي ويدرس ، وكان يجلس للتدريس والإفتاء في المكان الذي كان يجلس فيه عمر بن الخطاب وعبدالله بن مسعود ، وهو نفسه المكان الذي كان يجلس فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد ، وظل يعقد درسه في المسجد النبوي حتى مرض بسلس البول ، فاضطر إلى نقل درسه إلى منزله ، ومن أدبه الإسلامي أنه كتم عن الناس علته ، فلم يذكرها للناس إلا آخر أيامه حيث قال : (لولا أني في آخر يوم ما أخبرتكم بسلس بولي ، كرهت أن آتي مسجد رسول الله بغير وضوء ، وكرهت أن أذكر علتي ، فأشكو ربي) . (الشرباصي . د . ت . ص ٧٧)

كان مجلس الإمام مالك ـ رحمه الله ـ إذا أفتى أو حدث مجلسا تحيط به المهابة ، ويسوده الهدوء ، ومما يدل على ذلك قول أحد معاصريه (دخلت المدينة سنة أربع وأربعين ومائة ، ومالك أسود الرأس واللحية ، والناس حوله سكوت ، لا يتكلم أحد هيبة له) . (عياض . د.ت . ص ١٨٧)

ويذكر رجال المناقب أن مالكاً ظل يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجلس للفتيا خمسين سنة لم يؤخذ عليه لغو في قول أو مزاح أو تندر ، وكان التواضع يغلب على سلوكه على الرغم مما يبدو من تشدده أحياناً ، فتشدده كان منصباً على أمور العلم والدين وما يتصل بهما . (الشكعه . ١٩٧٩م . ص ٣٨٠)

وكانت دروس الإمام على مستويين : مستوى العلم الرفيع والقضايا الفقهية ، وكان ذلك خاصاً بتلاميذه المواظبين على حلقته المنتظمين في مجلسه ، ومستوى العلم العام دون الغوص إلى أعماق القضايا الفقهية ، وكان ذلك خاصاً بالعامة الذين يجلسون إليه لتلقي الثقافة الدينية العامة .

وقد استفاضت شهرة الإمام مالك حتى بلغت آفاق البلاد الإسلامية ، وكان العلماء وأصحاب المسائل يفدون إلى مجلسه يستمعون ويستفتون ، وأكثر ما يفد هؤلاء في موسم الحج ، وكان مالك يستقبلهم أفواجاً أفواجاً ، يبدأ بأهل الحجاز ثم بقية أبناء الأقطار الأخرى ، وكان للإمام حاجب ينادي على الوفود في الموسم وينظم دخولهم إلى مجلسه العلمي . (الشكعه . ١٩٧٩م . ص ٣٨٢)

وكان من طريقة مالك في فقهه أنه يقدم القرآن أولاً وقبل كل شئ ، ويستعين في فهمه بالحديث والسنة ، وكان يطيل التفكير في المسألة قبل أن يفتي فيها وكان يقول (من أحب أن يجيب على كل مسألة فليعرض نفسه على الجنة والنار ثم يجيب ، وقد أدركناهم إذا سُئل أحدهم فكأن الموت أشرف عليه) . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٣٨٣)

وكان مالك يلتزم الإجابة عن الأمور التي وقعت ، ولا يحب الحديث عن الأمور الفرضية ، أو القضايا التصورية ، ولذلك نراه حينما يسأله بعض الناس عن مسألة لم تقع يقول له : سل عما يكون ، ودع ما لم يكن .

وقد سأله رجل من أهل المغرب عن مسألة كلفه بها أهل بلده ، فأجابه الإمام :(ما أدري ، ما ابتلينا بهذه المسألة في بلدنا ، وما سمعنا أحداً من أشياخنا تكلم فيها ، ولكن تعود) ، أي تعود إليّ غداً ـ فلما كان من الغد جاء وقد حمل ثقله على بغلة يقودها ، فقال له مالك (سألتني وما أدري ما هي) فقال الرجل : يا أبا عبدالله تركت خلفي من يقول ليس على وجه الأرض أعلم منك ، فقال مالك (لا أحسن) . (عياض . د.ت . ص ١٥٩)

ومن السمات البارزة في حياة مالك العلمية أنه واحد من أولئك العلماء القلائل الذين صاروا أساتذة لمن كانوا يجلسون إليهم بالأمس فقد كان بعض شيوخه يجلسون إليه مستمعين له آخذين عنه ومن هؤلاء يحيى بن سعيد ، وسفيان بن عيينة وغيرهما . (الشكعه . ١٩٧٩م . ص ٣٨٧)

ومن الجدير بالذكر أن الإمام مالك - رحمه الله - لم ينقطع عن طلب العلم والمعرفة بعد أن تلقى عن الشيوخ وبعد أن صار أستاذا يتصدر مجلس التدريس ، فقد كان يلاقي الوافدين على المدينة من العلماء والفقهاء ، فيتحدث إليهم ، ويتبادل معهم العلم والفقه ، وهو يجالس علماء المدينة كلما لاحت له فرصة المجالسة ، وهو بعد هذا كله يواصل النظر والبحث فيما بينه وبين نفسه . ومما يدل على ذلك قول حماد بن أبي حنيفة (أتيت مالكاً فرأيته جالساً في صدر بيته وأصحابه بجنبتي الباب ، كل واحد منهم له مجلس ، فقمت على باب البيت ، فقال : من أنت ؟ فقلت : فلان أسأل عن مسألة ، قال : ادْنُ، فدنوت حتى أقعدني بين يدي فراشه ، فقال لي : ما كان يقول أبوك في كذا ؟ فأخبرته ، فقال : وما كانت حجته ؟ فأعلمته ، وجعل يسألني عن أشياء من مذهب أبي حنيفة وعن حجته ، ثم قال : سل، فسألته ، فأجابني) . (الشكعه .١٩٧٩م . ص ٣٨١)

٥. تلاميذه :

كان تلاميذ الإمام مالك من أقطار شتى ، حيث إن إقامته بالمدينة المنورة يسرت أمامه تلاميذ كثيرين يأخذون عنه ، نذكر من أشهرهم : ابن وهب (١٢٥_ ١٩٧) ، وهو محمد عبدالله بن وهب بن مسلم ، وهو أحد أقرب أصحاب مالك له ، فقد لزمه أكثر من عشرين سنة ، وكان مالك يحبه ويعظمه وقد قيل إنه ما نجا أحد من أصحاب مالك من زجره إلا ابن وهب ، فقد كان يلقبه بالفقيه ، وكان يسمح له بالكتابة عنه ثم لا يجد مانعاً من مراجعة ما كتبه عليه . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٤٢٦)

ومن تلاميذ مالك ـ رحمه الله ـ عبد الرحمن بن القاسم (١٢٨ـ١٩١) ، وهو أبو عبدالله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة ، وقد طالت صحبته للأمام نحواً من عشرين سنة ولم يخلطه بسواه ، ولهذا كان أعلم أصحاب مالك بفقهه ومما يدل على ذلك قول زميله ابن وهب عنه (إذا أردت هذا الشأن ـ يعني فقه مالك ـ فعلينا بابن القاسم ، فإنه انفرد به ، وشُغلنا بغيره).(الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٤٢٥)

ومن تلاميذ الإمام مالك : ، أشهب بن عبد العزيز القيسي (١٤٠ـ ٢٠٤ هـ) فقيه مصر ، تفقه وروى عن مالك ، وكان ذا رأي حسن ونظر دقيق قال الشافعي (ما أخرجت مصر أفقه من أشهب ، لولا طيش فيه). (الحنبلي . ١٣٥٠هـ . ص١٢) . ولم يدرك الشافعي من أصحاب مالك في مصر سوى أشهب ، وكانت وفاته بعد الشافعي بثمانية عشر يوماً.

ومن تلاميذه أيضاً : أبو محمد بن عبد الحكيم (١٥٥ـ٢١٤هـ) ، وكان فقيهاً صالحاً ، صادقاً عاقلاً حليماً، وبلغ بنو عبد الحكيم في مصر من الجاه والتقدم ما لم يبلغه أحد ، وكان صديقاً للشافعي ، وعليه نزل إذ جاء مصر فأكرمه ، وبلغ الغاية في بره ، وروى عن الشافعي . (الحنبلي . ١٣٥٠هـ . ص٣٤)

٦. مؤلفاته :

مما لا شك فيه أن من أهم مؤلفات الإمام مالك وأوسعها شهرة هو كتاب الموطأ ، وهو ذلك الكتاب الجليل الذي توفر الإمام مالك على العمل فيه جامعا بين دفتيه ما صح عنده من أحاديث رسول الله ﷺ

هذا وللإمام مالك مشاركة فعالة في التأليف ، فليس الموطأ أثره العلمي الوحيد ، وإنما له آثار علمية أخرى قيمة ، منها : تفسير غريب القرآن ، ورسالة إلى ابن وهب في الرد على القدرية ، ورسالة في الأقضية ، ورسالة في الفتوى إلى أبي غسان ، وكتاب السرور ، وأخيراً رسالته الممتعة إلى الليث بن سعد إمام أهل مصر في زمانه . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٤١٤)

ثالثاً : الإمام الشافعي :-

١. اسمه ونسبه ومولده : (١٥٠ - ٢٠٤ هـ)

هو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، الذي حدد معالم شخصيته - فيما يذهب كثير من العلماء - الحديث الشريف (لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ الأرض علماً ، اللهم إنك أذقت أولها عذاباً ، أو وبالاً ، فأذق آخرها نوالاً) رواه الإمام أحمد (المسند ، ج ١ ، ص ٢٤٢)

ولد الإمام محمد الشافعي في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ ، فقد هاجر أبوه إلى غزة وعسقلان بحثاً عن الرزق ، غير أنه مات بعد ولادة محمد بزمن قصير . وبعد بلوغه عامين انتقل مع أمه للعيش في مكة. (الشكعه . ١٩٧٩م . ص٤٨٣)

٢. نشأته وطلبه للعلم :

نشأ الشافعي يتيماً فقيراً في كنف أمه ، يقول في ذلك (كنت يتيماً في حجر أمي ، ولم يكن معها ما تعطي المعلم ، وكان المعلم يرضى من أمي أن أخلفه إذا قام ،فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة ، فكنت أنظر إلى العظم واللوح فأكتب فيه الحديث والمسألة). (ابن الجوزي . ١٣٥٥هـ . ص ١٤١) فقد حفظ القرآن الكريم وهو في سن السابعة ، وأخذ يحفظ الأحاديث ويكتبها ، وعني بتعلم قواعد العربية وكلماتها ، ثم اتجه إلى طلب الفقه والحديث من الفقهاء والمحدثين بمكة ، وقد تغلب الشافعي على أكبر صعوبة تقف في سبيل طلب العلم وهي صعوبة الفقر وقلة المال ، ولم يتركها تقضي على مآربه ، ولذلك احتفى الأساتذة الكبار بتفكيره ، وقدروا مواهبه وخصاله ، فكان سفيان ومسلم شيوخ مكة عامة يصفونه في صغره بالذكاء والعقل ويقولون لم تعرف له صبوة . (العبادي .١٩٦٤ م. ص٦)

وعني باللغة العربية وتعلم قواعدها ، ورحل في سبيل ذلك إلى البادية ، وعاشر قبيلة "هذيل" نحو عشر سنين ، ليتعلم من كلامها ، ويأخذ طبعها ،

وكانت هذيل أفصح العرب ، وحفظ الشافعي أشعار هذيل وأخبارها ، حتى قال الأصمعي أنه صحح أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس ، يعني الشافعي . (الشرباصي . د.ت . ص ١٢٣)

مع هذه القبيلة عاش الشافعي عشرة سنين يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، فلما عاد إلى مكة كان سمته أقرب إلى سمت الأدباء . وظل ينشد الأشعار ويذكر الأخبار وأيام العرب وألوانا من الآداب . فمر به رجل من قريش من الزبيريين وتطوع بنصحه أن يتجه إلى دراسة الفقه . إن الشافعي يروي هذه المرحلة القصيرة من حياته بعد تركه هذيلاً وقدومه إلى مكة قائلاً : (فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار ، وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب ، فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمي ، فقال لي : يا أبى عبد الله ، عز علي ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه ، فتكون قد سدت أهل زمانك ، قلت : فمن بقي نقصده ؟ فقال لي : مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ فوقع في قلبي فعمدت إلى الموطأ ، فاستعرته من رجل بمكة ، فحفظته في تسع ليال ظاهراً ، ثم دخلت إلى والي مكة ، وأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس) . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٤٨٧)

كان مالك هو الأستاذ الأول للشافعي ، فحفظ عنه الموطأ ، وتعلم على يديه الفقه ولازمه حتى وفاته ، وكان عمر الشافعي آنذاك تسعة وعشرين عاما .

لقد رحل الشافعي للعديد من البلاد في سبيل طلب العلم ، فقد طلب العلم بمكة على من كان بها من الفقهاء والمحدثين ، فبلغ شأنا عظيما في الفقه وهو لا يزال في سن الطلب ، حتى أذن له بالفتيا شيخه مسلم بن خالد الزنجي ، ولكنه لم يقتنع بما حصله من الفقه فرحل من مكة إلى المدينة ، ليدرس الفقه والحديث على الإمام مالك ، فمكث عنده إلى أن توفي .

وقدم الشافعي إلى بغداد سنة ١٨٤هـ ونزل عند محمد بن الحسن في بيته فأوى إليه كما أوى إلى مالك من قبل فبدأ يقرأ كتب العراقيين ، فيقول الشافعي : (كان محمد بن الحسن يقرأ علي جزءا فإذا جاء أصحابه قرأ عليهم أوراقا ، فقالوا : إذا جاء هذا الحجازي قرأت عليه جزءا ، وإذا جئنا قرأت علينا أوراقا ؟ قال : اسكتوا إن تابعكم هذا لم يثبت لكم أحد) . (الأصفهاني . د.ت . ص ٩٣) ومن المؤكد أن محمد بن الحسن قد لمس نبوغ الشافعي وتقدمه ، لذلك فقد كان يميزه ويقرأ عليه قدراً أكبر من غيره من طلاب العلم .

وعاد الإمام الشافعي إلى بغداد سنة ١٩٥هـ وأقام بها سنتين فاجتمع عليه علماؤها ، وأخذوا منه العلم ، ورجع كثير من مذاهبهم إلى قوله ، وصنف بها الكتب القديمة . (الشيرازي . ١٣٥٦هـ . ص ٢)

وقد اتجه الإمام الشافعي بعد ذلك إلى مصر ، وقد كانت لهذه الرحلات فوائد جمة ، فقد درس تعاليم مدرسة أهل الرأي ببغداد ، كما درس تعاليم أهل الحديث ، وقد أثر اتساع ثروته في الحديث والرأي على مذهبه (فانتحى لنفسه مذهبا خاصا ، وهو مذهبه في العراق أو القديم ، ثم بعد أن أقام في مصر رجع عن بعض أقواله السابقة ، وأملى على تلاميذه مذهبه المصري أو الجديد) . (محمصاني . ١٩٤٦م . ص ٤٤)

ولم تقتصر فترة حياته على الرحلات ، وطلب العلم ، ودراسة الفقه ، بل إنه تولى العمل في إحدى ولايات اليمن ، ثم تولى عملا في " نجران " ظهر فيه عدله واستقامته ، وأراد القوم هناك أن يضايقوه أو يخادعوه فلم يفلحوا .

وحدث أن خرج تسعة من العلويين في اليمن على الخلافة ، واتُّهم الشافعي بأنه معهم ، فأمر هارون الرشيد بإرسالهم إليه ، ولما بلغوه أمر بضرب أعناق التسعة ، ثم جاء دور الشافعي ، فقال للخليفة : (مهلاً يا

أمير المؤمنين ، فإنك الداعي ، وأنا المدعو ، وأنت القادر على ما تريد مني ، ولست القادر على ما أريده منك . يا أمير المؤمنين ، ما تقول في رجلين : أحدهما يراني أخاه ، والآخر يراني عبده ، أيهما أحب إليَّ ؟ قال الرشيد : الذي يراك أخاه . قال الشافعي : فذاك أنت يا أمير المؤمنين ، قال الرشيد : كيف ذاك ؟ قال الشافعي : يا أمير المؤمنين ، إنكم ولد العباس وهم ولد علي ، ونحن بنو المطلب ، فأنتم ولد العباس ترونا لخوتكم ، وهم يرونا عبيدهم . فانشرح الرشيد لذلك ، وقال للشافعي : يا ابن إدريس ، كيف علمك بالقرآن ؟ فقال الشافعي : عن أي علومه تسألني ؟ عن حفظه ؟ فقد حفظته ووعيته بين جنبي ، وعرفت وقفه وابتداءه ، وناسخه ومنسوخه ، وليليه ونهاريه ، ووحشيه وأنسيه ، وما خوطب به العام يراد به الخاص ، وما خوطب به الخاص يراد به العام . فقال هارون : فكيف علمك بالنجوم ؟ فقال : إني لأعرف منها البري ، والبحري ، والسهلي ، والجبلي ، والفيلق ، والمصبح ، وما تجب معرفته . فقال الرشيد : فكيف علمك بأنساب العرب ؟ فأجاب الشافعي : إني لأعرف أنساب اللئام ، وأنساب الكرام ، ونسبي ، ونسب أمير المؤمنين . قال الرشيد : فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين ؟ فوعظه بموعظة مؤثرة لطاوس اليماني ، فبكى منها الرشيد ، وأمر للشافعي بمال كبير وهدايا ، ففرقها عند الباب) . (الشرباصي . د.ت . ص ١٢٥)

وهذه القصة إن دلت على شيء فإنما تدل على براعة الشافعي في التخلص من جهة ، وعلى اتساع ثقافته ومعارفه من جهة أخرى ، ثقافته ومعارفه التي كونها من روافد عدة ، ونهضت على دعائم قوية ، منها شيوخه وأساتذته ، ومنها مطالعاته وقراءاته ، ومنها سفره ورحلاته .

وبذلك فقد سجل الشافعي – رحمه الله – صفحات مشرقة في طلب العلم ، وكان لبيئته وتنشئته فضل كبير على هذه التربية ، فقد شجعته أمه على طلب العلم حتى صار علما بين العلماء الأجلاء .

٣. **شيوخه :**

تلقى الشافعي الفقه والحديث من شيوخ تباعدت أماكنهم ، وتخالفت مناهجهم ، فقد تلقى العلم من شيوخ مكة والمدينة واليمن والعراق ، وهي البلاد التي تنقل بينها . وذكر الخطيب البغدادي ستة وعشرين شيخا أخذ الشافعي عنهم . (البغدادي . د.ت . ص ٥٦)

وفي رأي بعض الباحثين أن أشهر شيوخه تسعة عشر عالما خمسة منهم بمكة وستة بالمدينة وأربعة باليمن وأربعة بالعراق ، أي أنه تعلم على يد علماء لهم آراء متنوعة ، واتجاهات مختلفة ، فالشافعي تلقى العلم من جهات مختلفة ، ودرس آراء متعددة ، بعضها متناقض مع بعض ، ولكنها تسعى لهدف واحد هو خدمة الدين .

فمن شيوخه في مكة : مسلم بن خالد الزنجي ، وسفيان بن عيينة ، وسعيد بن سالم القداح ، وداود بن عبد الرحمن العطار ، وعبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي داود . ومن شيوخه في المدينة : مالك بن أنس ، وإبراهيم بن سعد الأنصاري ، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي ، وإبراهيم بن يحيى الأسامي ، ومحمد بن سعيد بن أبي فديك ، وعبد الله بن نافع الصائغ . ومن شيوخه في اليمن : مطرف بن مازن ، وهشام بن يوسف قاضي صنعاء ، وعمر بن أبي مسلمة صاحب الأوزاعي ، ويحيى بن حسان صاحب الليث بن سعد . ومن شيوخه في العراق : محمد بن الحسن ، ووكيع بن الجراح الكوفي ، وأبو أسامة حماد بن أسامة الكوفي ، وإسماعيل بن عطية البصري ، وعبد الوهاب بن عبد المجيد البصري . (الأصفهاني . د.ت . ص ٩٣)

إلا أنه من أبرز شيوخ الشافعي مالك بن أنس ، ومن حسن الحظ أنه أخذ العلم عن هذا الفقيه الجليل .

وذكر ياقوت في كتاب " معجم الأدباء " قصة الكتاب الذي حمله الشافعي من والي مكة إلى والي المدينة ، فقال حاكيا عن الشافعي : دخلت على والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة ، وقدمت المدينة ، وأبلغت الكتاب إلى الوالي فلما قرأه قال : إن مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيا راجلا أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس ، فلست أرى الذل إلا أن أقف على بابه . فقلت : أصلح الله الأمير ، إن رأى الأمير أن يوجه إليه ليحضره ، فقال : هيهات ، ليت أني إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق ، فتقدم رجل – بعد أن سرنا ووصلنا إلى بيت مالك – فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء ، فقال لها الأمير : قولي لمولاك أني بالباب ، فدخلت فأبطأت ، ثم خرجت فقالت : إن مولاي يقرئك السلام ، ويقول لك : إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب ، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف ، فقال لها : قولي له أن معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة ، فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعته ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار ، وهو شيخ طويل ، فجلس فرفع إليه الوالي الكتاب فقرأه ، وبلغ إلى هذا وإن هذا رجل من أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع ، فرمى بالكتاب من يده ثم قال : سبحان الله ، أوصار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل ، فرأيت الوالي قد تهيبه أن يكلمه ، فقدمت إليه وكلمته فلما سمع كلامي نظر إلي وكان لمالك فراسة ، فقال : ما اسمك ؟ قلت : محمد فقال : يا محمد اتق الله ، واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن ، إن الله قد ألقى في قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية . إذا كان الغد تجيء ويجيء من يقرأ لك . (ياقوت . ١٩٣٨م . ص ٢٨٥-٢٨٧)

وبهذا اتصل الشافعي بمالك بن أنس ، ولازمه إلى أن توفي ، وأخذ من علمه الكثير ، وكان يعد نفسه فقيها مدنيا من أصحاب مالك بن أنس ، ثم تميزت شخصية الشافعي فيما بعد ، فصار يقول رأيه سواء أخالف رأي مالك أو وافقه ، دون أن يتعرض لمالك بنقد .. ولكنه وجد بعض الناس يغالون في أمر مالك ، ويقدسون آثاره وثيابه ، وكان لمالك قلنسوة يتبركون بها في الأندلس ، وإذا قيل : قال رسول الله ﷺ ، أجاب هؤلاء : قال مالك . هنا قال الشافعي أن مالكا بشرٌ يصيب ويخطئ ، وأخذ ينقده ، ووضع في ذلك كتابا اسمه " خلاف مالك " وقرر فيه أنه لا رأي مع الحديث ، ولكنه طوى الكتاب عنده سنة ، احتراما منه لمكانة أستاذه ، ثم نشره على الناس ، وكان يقصد بذلك وجه الله تعالى ، ولا يقصد التشهير بأستاذه ، بدليل أنه كان لا يعبر عن مالك إلا بقوله : الأستاذ . (الشرباصي . د.ت . ص ١٢٨)

ومن شيوخ الشافعي البارزين أيضا محمد بن الحسن ، وكان يحبه ويفضل مجلسه على مجلس السلطان ، وكان محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة من أصحاب مدرسة الرأي ، وبذلك درس الشافعي فقه أهل الرأي ، وفقه أهل الحديث ، وكون لنفسه مذهبا خاصا به . (ياقوت . ١٩٣٨م . ص ٢٨٨)

٤. جلوسه للتدريس :

عندما بلغ الشافعي العشرين من عمره ، كان له أن يفتي كما قال له شيخه مسلم بن خالد الزنجي ، فقد قال للشافعي : (أفت يا أبا عبد الله فقد آن لك أن تفتي) . (ابن الجوزي . ١٣٥٥هـ . ص ١٤١) لكن الشافعي لم يقتنع بما حصله من الفقه ، فواصل تعليمه حيث رحل إلى المدينة ثم العراق واليمن كما سبقت الإشارة .

وعندما اكتملت للشافعي أسباب النضوج جلس في ثوبه الأبيض على مقربة من بئر زمزم ، ينثر على الناس درر علمه ، ويجيب على

أسئلتهم ، ويجادل مخالفيه في الرأي بإيمان وثبات ، فيذيع اسمه ، ويكثر تلاميذه وفي مقدمتهم الإمام الجليل أحمد بن حنبل ، ويجمع الناس على فضله وعلمه ودينه ، فكان كما قال ابن حنبل لابنه : (يا بني : كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للبدن ، وهل لهذين من خلف أو لهما من عوض) . (البغدادي . د.ت . ص ٦٦)

وهذا يونس بن عبد الأعلى يقول : (كان الشافعي إذا أخذ في العربية قلت هو بهذا أعلم ، وإذا تكلم في الشعر وإنشاده قلت هو بهذا أعلم ، وإذا تكلم في الفقه قلت هو بهذا أعلم) . (ياقوت . ١٩٣٧م . ص ٣٠٠)

ويذكر الربيع بن سليمان خادم الإمام وتلميذه أن الشافعي كان يجلس في الجامع في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن ، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه ، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار . (ياقوت . ١٩٣٧م . ص ٣٠٤)

إن صلة الشافعي بالقرآن الكريم هي مفتاح كل هداية توصل لها ، فقد كان يختم القرآن كل ليلة ، فإذا كان شهر رمضان صارت الختمة ختمتين ، ختمة بالليل وختمة بالنهار ، وإذا ما تلا الشافعي القرآن الكريم تلاه بصوت حسن – وكان حسن الصوت – فلا يلبث الناس أن يجتمعوا حوله ، وباستمرار تلاوته ، وحسن أدائه ، وجمال صوته ، تقفز قطرات الدمع من مآقي مستمعيه ، وتعلوا أصواتهم بالنشيج ، ويشيع بين صفوفهم الضجيج ، فإذا رأى الشافعي ذلك توقف عن التلاوة وأمسك عن القراءة . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٥٠٨)

وقد تميز الشافعي عن غيره بجملة من الصفات التي ما اجتمعت لغيره من العلماء ، فبالإضافة إلى غزارة علمه وتنوع روافده ، نجد فصاحته وسرعة بديهته اللتان كانتا سبباً له بعد الله تعالى في شيوع

مذهبه والتفاف الناس حوله ، ونهولهم من علمه ، لذلك فقد كان يلقب بأستاذ الأساتذة .

٥. تلاميذه :

إذا كان الشافعي قد كثر شيوخه فإن تلاميذه قد كثروا كذلك ، فله تلاميذ بارزون في كل من مكة والعراق ومصر ، ولكن يجدر بنا أن نلقي الضوء على أبرز تلاميذه في كل دولة .

فمن أبرزهم في العراق الإمام الجليل أحمد بن حنبل الذي صحبه وأخذ عنه وينبغي أن نشير إلى أن الإمام أحمد لم ينشط للترحيب بالشافعي وفقهه عندما زار الشافعي بغداد أول الأمر ، ثم ما لبث أن اكتشف نباهة شأن الإمام الجليل، فلزم مجلسه مع من لزمه من أبناء المدرسة الشافعية في العراق . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٦٦٠) والشافعية يعدونه شافعياً ولكنه في الواقع يستقل عنه . وقد أعجب الشيخ بتلميذه ، ووضعه موضع ثقة في كل شئ حتى أنه قال : (خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أروع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد). (ابن خلكان . ١٩٤٨ م . ص ٣٠٦)

ومن تلاميذه العراقيين الزعفراني ، وهو الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، وكان ممن جلسوا إلى الشافعي في بغداد والتفوا حوله وأخذوا عنه ، وصاروا من مريديه بالعراق ، وقد اختص بالقراءة في مجلس الشافعي دون بقية أترابه العراقيين ، والسبب في ذلك هو ما قيل من أنه لم يكن في وقته أوضح لساناً منه ، ولا أبصر باللغة منه . وتوفي الزعفراني في ربيع الأخر سنة ٢٦٠ هـ (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٦٦٢)

أما تلاميذ الشافعي المصريين فمن أبرزهم : البويطي ، وهو أبو يعقوب يوسف بن يحيى القرشي البويطي نسبة إلى بويط ، وهي إحدى قرى بني سويف ، وكان الشافعي قد أوصى وهو في مرضه الأخير بأن يكون أبو يعقوب خليفة على حلقة درسه . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٦٦٦)

ووصف المؤرخون البويطي بأنه (كان إماماً جليلاً عابداً زاهداً وفقيهاً عظيماً ، جبلاً من جبال العلم والدين ، غالب أوقاته الذكر والتشاغل بالعلم وغالب ليله التهجد والتلاوة ، سريع الدمعة ، فقد كان امتداداً عظيماً لإمام عظيم). وهو أحد تلاميذ الشافعي الذين زج بهم في السجن أيام المحنة إلى أن توفي ببغداد سنة ٢٣١ هـ . (طاش كبرى زاده . ١٩٦٨م . ص ٣٠٧)

ومن أشهرهم أيضاً في مصر : المزني ، وهو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني ، وكان زاهداً عالماً مجتهداً قوي الحجة ، وكان الشافعي يعرف فيه ذلك فهو القائل فيه : لو ناظر الشيطان لغلبه ، كما قال فيه أيضاً : أما أنه سوف يأتي عليه زمان لا يفسر فيه شيئاً فيخطئه . وتوفي المزني في عام ٢٦٤ هـ . (الشكعه . ١٩٧٩م . ص ٦٧٠)

ومن تلاميذ الشافعي البارزين في مصر : المرادي ، وهو الربيع بن سليمان المرادي أبو محمد ألصق أصحاب الشافعي به ، وهو تلميذه وخادمه وراوي كتبه . قال له الشافعي : (لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك وهو الذي كان يعنى بحفظ كلام الشافعي الذي يقول فيه إذا ضاقت الأشياء اتسعت وإذا اتسعت ضاقت) (طاش كبرى زاده . ١٩٦٨ م. ص ٣٠٢) وقد عاش عمراً طويلاً ، فقد ولد سنة ١٧٤ هـ وتوفي في شهر شوال سنة ٢٧٠ هـ ، فيكون قد ناهز المائة ، وكان أول من أملى الحديث في مسجد ابن طولون .

وخلاصة القول أن علم الشافعي قد وسع وانتشر بفعل رحلاته الكثيرة وتلاميذه لمعوا في بقاع متفرقة ، هذا فضلاً عن أن مذهبه امتاز بالتفرد وجمع بين مذهب أهل الرأي وأهل الحديث ، فهو بهذا أخذ من النهجين .

٦. مؤلفاته :

مؤلفات الإمام الشافعي بلا شك كثيرة في عددها ، وفيرة في موضوعاتها ، نفيسة في محتوياتها ، فقد أحصى ياقوت الرومي للشافعي مائة وسبعة وأربعين كتاباً (ياقوت . ١٩٣٨م . ص٣٢٤)

وقد سجّل ابن حجر مؤلفات الشافعي ملخصاً إياها على النحو التالي : الرسالة القديمة ، ثم الجديدة ، اختلاف الحديث ، جماع العلم ، إبطال الاستحسان ، أحكام القرآن ، بياض الغرض ، صفة الأمر والنهي ، اختلاف مالك والشافعي ، اختلاف العراقيين ، اختلاف الشافعي مع محمد بن الحسن ، كتاب علي وعبد الله ، فضائل قريش ، كتاب الأم – وعدته مائة ونيف وأربعون كتاباً – ، كتاب السنن ، كتاب المبسوط ، والمنثورات . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص٥٩٩)

وللشافعي كتاب هام هو كتاب الحجة ، وهو مجلد ضخم يشتمل على حصيلة مناقشاته وما أفتى به في العراق ، ويضم القديم من مذهبه ، ولذلك فإن الشافعي يسمي هذا الكتاب بالكتاب البغدادي ، وكذلك فإن له كتاباً كبيراً هاماً هو مسند الشافعي ، كما أن له كتاب آخر يدل عنوانه على مبلغ أهميته وهو كتاب السير . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٦٠٠)

رابعاً : الإمام أحمد بن حنبل : –

١. اسمه ونسبه ومولده : (١٦٤ – ٢٤١ هـ)

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس ابن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس بن قاسط بن مازن ابن شيبان . الروزي ثم البغدادي . ويلتقي ابن حنبل في نسبه مع الرسول صلى الله عليه الله في نزار بن معد بن عدنان . (الشرباصي . د.ت .ص ١٥٨)

وقد اشتهرت نسبة ابن حنبل إلى جده " حنبل " فصار الناس يقولون " ابن حنبل " مع أن " حنبل " جده ، وأما أبوه فهو " محمد " والسبب في ذلك أن جده كان أشهر من أبيه ، لأن أباه كان مجاهداً مغموراً ، على حين كان جده والياً للأمويين على " سرخس " من أعمال خراسان . (الشرباصي . د.ت . ص ١٥٩) ولد ابن حنبل في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومئة ببغداد ، وتوفي بها في ٢٤١ هـ .(الشرباصي . د.ت . ص ١٥٨)

٢. نشأته وطلبه للعلم :

قدم به والده من مرو وهو حمل ، فوضعته أمه ببغداد ، وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين ، فكفلته أمه . (الشكعه . ١٩٧٩م . ص٦٨١) وأمه " صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك بن شيبان " ، فهو شيباني في نسبه لأبيه ، ولأمه . وقبيلة شيبان سيدة قبائل ربيعة في الجاهلية والإسلام ، فإن العرب الأقدمين يقولون : (إذا كنت في ربيعة فكاثر بشيبان ، وفاخر بشيبان وحارب بشيبان ، وشيبان الذي يكاثر ويفاخر ويحارب به هو شيبان بن ثعلبة) . (البغداي . د. ت .ص ٤١٤) .

حرصت أمه على تعليمه (اللغة والأدب والقرآن والحديث والآثار منذ الحداثة ، وعلمته الفارسية أو قليلاً منها إذ عرفتها إبان إقامتها بمرو ، وأتيح له معلمون عظماء ، حفظ عليهم القرآن وهو غلام). (الجندي . د . ت . ص٣٥)

كان الإمام أحمد بن حنبل قد اتجه إلى حفظ القرآن وتعلم اللغة ، شأنه في ذلك شأن كل أبناء المسلمين في طفولتهم ، ولكنه لم يكن يكتفي بالقدر الذي يتعلمه في الكُتَّابِ في الصباح ، وإنما كان يختلف إلى الديوان في المساء يتعلم الكتابة والتحرير ويروض نفسه على إتقانهما ، وقد ساعده على ذلك أن عمه كان يعمل في أحد الدواوين . إنه يقول في هذا : (كنت وأنا غليم أختلف إلى الكُتَّاب ، ثم اختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة) . (الشكعه . ١٩٧٩م . ص ٦٩٠)

فقد نشأ محباً لطلب العلم ، شغوفاً به حتى كانت أمه تشفق عليه من تعبه الموصول في طلب العلم ، وفي هذا قال أنه : (كان أحياناً يريد الخروج إلى العلم قبل انبلاج الفجر ، فتأخذ أمه بثيابه وتستمهله حتى يصبح الناس) . (الشرباصي . د . ت . ص١٦٠) . وما أن أحس أحمد القدرة على الكتابة حتى سعى إلى سماع الحديث وكتابته وأول من سمع منه الحديث هو هشيم ، يقول في ذلك : (طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة، وأول سماعي من هشيم سنة تسع وسبعين ومائة) . (الأصفهاني . د. ت . ص ١٦٢) .

وكـان الإمـام أحمد يرعـى الله ويخشاه منذ صباه ، ولم يكن التزامه بتقوى الله موقوفاً على عمل بذاته ، وإنما كان يتحرى الاستقامة في كل أمر يقوم به ، وكل شأن يكلف بإتيانه ، ويروى في هذا السبيل أن عمًّا لـه كان يراسل أحد الولاة بأخبار بغداد إذا غاب الخليفة عنها ، ليكون على علم بما يجري ، ثم توقفت الرسائل بعض الوقت ، فلما عاد الوالي إلى بغداد خاطب عمَّ أحمد في ذلك ، فقال لـه : لقد كنت أبعث بها مع أحمد ابن أخي ، ثم أحضر أحمد لكي يستشهد به على صدق قوله ويستفسر منه عن مصير تلك الأخبار ، ولكن أحمد يعترف بتسلمه هذه التقارير ، ويقول لعمه فيما يشبه الاستنكار : أنا أرفع مثل تلك الأخبار ؟ لقد رميت بها في الماء ، وهنا يردد الوالي قوله تعالى : (إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم يقول فيما يشبه الاستغراب والأسف : هذا غلام يتورع ، فكيف نحن ؟! . (ابن الجوزي . ١٣٩٩ هـ . ص ٢٢) .

لقد كان الإمام أحمد مثالاً للخلق والدين والاستقامة بين أترابه الغلمان وكان الآباء من الأغنياء ينظرون إلى هذا الغلام الفقير مالاً ، الغني خلقاً ويقول أحدهم : (إني أنفق على أولادي وأجيئهم بالمؤدبين لكي يتأدبوا فما أراهم يفلحون ، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم ، انظروا كيف ؟) . (ابن الجوزي . ١٣٩٩ هـ . ص ٢١)

بعد موت هشيم أخذ أحمد يتلقى الحديث حيثما وجده ، وحيثما كان ، ومكث ببغداد نحو ثلاث سنوات يأخذ من شيوخها ، وفي السنة السادسة والثمانين بعد المائة ابتدأ رحلاته ، ليتلقى الحديث فرحل إلى البصرة خمس مرات كان يقيم أولاها سنة ١٨٧ هـ وفي رحلته تلك التقى الشافعي وأخذ مع حديث ابن عينية فقه الشافعي . ورحل إلى اليمن ، وإلى الكوفة ، ولقي المشقة في رحلته إلى الكوفة مع قربها من بغداد لأن مقامه بالكوفة لم يكن ليناً رفيقاً ، بل كان ينام في بيت تحت رأسه لبنة كما حكى هو عن نفسه . (أبو زهرة .١٤١٨ هـ . ص٢٣ـ٢٤) واللَّبِنة هي التي يُبنَى بها والجمع لبن (الرازي . د.ت . ص ٥٩١)

وهذا يدل على الضيق والمشقة التي تكبدهما الإمام أحمد – رحمه الله – في سبيل طلب العلم .

وخلاصة القول أن الإمام أحمد قد نهل من معين العلم القدر الذي أهّله أن يكون إماماً من أئمة المسلمين . . فقد اهتم بالقرآن الكريم اهتماماً كبيراً منذ صغر سنه ، ثم اتجه إلى الحديث فسمعه وتعلمه وكتبه وهما بلا شك الدعامتان الأساسيتان اللتان يقام عليهما الدين قوامه .

٣. شيوخه :

تلقى ابن حنبل العلم أول ما تلقاه من أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي صاحب أبي حنيفة .. وهو يقرر ذلك في قوله : (أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف) . (ابن الجوزي .١٣٩٩ هـ . ص ٣٣) وفي قول آخر له : (طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة ، وأول سماعي من هشيم سنة تسع وسبعين ومائة) . (الأصفهاني . د. ت . ص ١٦٢) ، فالظاهر من الأمر أن ابن حنبل جلس إلى أبي يوسف جلوساً لم يكن طويلاً ، بينما لازم هشيم حتى وفاته أي ما يقارب أربع أو خمس سنوات ، وجلس إليه جلوساً موصلاً ، وهو الجلوس السائد في أنماط ذلك العصر .

والباحثة هنا تُسلط الضوء على من كان له أثر ظاهر على ابن حنبل من شيوخه ، ولا يهمنا كثيراً أن نعرف كل من تلقى عنهم .

أول شيوخه تأثيراً فيه هو هشيم ، وهو هشيم بن بشير بن خازم الواسطي ، ولد سنة ١٠٤ هـ وتوفي سنة ١٨٣ هـ ، تلقى عن بعض التابعين كعمر وبن دينار ، والزهري ، وغيرهما . (أبو زهرة . ١٤١٨ هـ . ص ٧٧)

لقد تفرغ أحمد للجلوس إلى هشيم بن بشير وكان إماما فاضلا ثقة زاهدا صدوقا ، يقول الإمام أحمد : (كتبت من هشيم سنة تسع وسبعين ، ولزمناه إلى سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وكتبنا منه كتاب الحج نحوا من ألف حديث ، وبعض التفسير ، وكتاب القضاء ، وكتبا صغارا .

ويسأل صالح بن الإمام أحمد والده قائلا : أيكون ثلاثة آلاف ؟ فيجيبه والده قائلا : أكثر) . (ابن الجوزي . ١٣٩٩هـ . ص ٢٥)

يقول أحمد في وصف أستاذه وذكره المدة التي لازمه فيها : (كان هشيم كثير التسبيح ، ولازمته أربعة أو خمسة ما سألته عن شيء هيبة له إلا مرتين) . (البغدادي . د.ت . ص ٨٩)

لقد سمع ابن حنبل من ثلاثة علماء في عام واحد ، سمع من أبي يوسف ، وسمع من هشيم ، وسمع من ابن البريد . حيث كان الدارس يتفرغ لأستاذ واحد يجعله شيخا له ، ولم يكن ثمت بأس في أن يختلف إلى شيوخ آخرين .

وفي عام ١٨٧هـ كانت أولى رحلات ابن حنبل إلى مكة المكرمة ، يقول – رحمه الله – : (قدمنا مكة سنة سبع وثمانين وقد مات الفضيل ، وخرجنا سنة ثمان ، وأقمت سنة تسع وتسعين عند عبد الرزاق – أي في صنعاء – وحججت خمس مرات : منها ثلاثا راجلا – أي ماشيا – وأنفقت في هذه الحجج ثلاثين درهما) . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٧١٣)

وفي مكة التقى ابن حنبل بالشافعي وأعجب به وبما يحمله من علم ، فهذا إسحاق بن راهويه صاحب أحمد يقص علينا الخبر فيقول : (كنا عند سفيان بن عيينة نكتب أحاديث عمرو بن دينار ، فجاءني أحمد بن حنبل فقال لي : يا أبا يعقوب ، قم حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله ، فقمت ، فأتى بي فناء زمزم ، فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض ، تعلو وجهه سمرة ، حسن السمت ، حسن العقل ، وأجلسني إلى جانبه ، فقال له : يا أبا عبد الله ، هذا إسحاق بن راهويه الحنظلي ، فرحب بي وحياني ، فذاكرته وذاكرني ، فانفجر لي منه علم عجز عنه حفظي . فلما أن طال مجلسنا قلت لأحمد : يا أبا عبد الله ، قم بنا إلى الرجل ، فقال : هذا هو الرجل ، فقلت له : يا سبحان الله ، أقمتنا من عند رجل يقول حدثنا

الزهري فما توهمت إلا أن تأتي بنا إلى رجل مثل الزهري أو قريبا منه ، فأتيت بنا إلى هذا الشاب أو هذا الحدث ، فقال لي : يا أبا يعقوب ، اقتبس من الرجل ، فإنه ما رأت عيناي مثله) . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٧١٦)

لقد تلقى ابن حنبل من هشيم حديثا كثيرا وفقها قليلا ، ولذلك كان لابد أن يسد ذلك النقص بشخصية أخرى ذات قوة تسد ذلك النقص ، وقد تجلت تلك الشخصية في الشافعي – رحمه الله – وبهذا يكون ابن حنبل قد اكتملت له أسباب العلم ، فوقف على أعتاب الإمامة بقدم ثابتة وقدرة راسخة وأداة كاملة .

٤. جلوسه للتدريس :

جلس ابن حنبل – رحمه الله – للتدريس في المسجد الجامع ببغداد وهو في سن الأربعين ، وهو حين جلس للتدريس في هذا السن تحديدا إنما فعل ذلك تأسيا بالرسول ﷺ ، لأن الله تبارك وتعالى إنما كلف نبيه بتبليغ الرسالة وهو في سن الأربعين ، وقد كان الإمام ابن حنبل ﷺ حريصاً على اتباع طريقة الرسول ﷺ في كل شيء . (أبو زهرة . ١٤١٨هـ . ص ٣١)

بلغ أحمد بن حنبل الأربعين من عمره ، وأصبح صاحب حلقة بمسجد بغداد ، وكان يحفظ الأحاديث بأسانيدها ، لا يخطئ في حديث واحد ، ولكنه مع ذلك لا يحدث إلا من كتاب أو من صحف مكتوبة ، وكانت حلقته كبيرة واسعة تضم في أكثر الأحيان خمسة آلاف مستمع ، يكتب منهم خمسمائة . (ابن الجوزي . ١٣٩٩هـ . ص٢١٠)

وكان له مجلسان للدرس والتحديث ، أحدهما هو الخاص في منزله يحدث فيه خاصة تلاميذه وأولاده . (أبو زهرة . ١٤١٨هـ . ص ٣٣) والدرس العام يعقده في المسجد بعد العصر ، وكان درسه العام مشهودا حافلا بالسامعين . (الشرباصي . د.ت . ص ١٦٥)

وكــان الـنـاس سواسية فـي حلقــته ، وكــان أقربهـم إلـى قلبه وأجـدرهـم بالاحـتفاء لديه الفقير ، وقـد قـال عنه صاحبه المروذي : (لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله) . (الشكـعة . ١٩٧٩م . ص ٧٥٦)

هكذا لكتملت أسباب العلم عند الإمام أحمد – رحمه الله – فوقف على أعتاب الإمامة بقدم ثابتة وقدرة راسخة وأداة كاملة .

٥. تـلامـيـذه :

كان مجلس الإمام أحمد – رحمه الله – من السعة ما سبق ورأينا ، فقد سمعه وتلقى عنه كثيرون من الصعوبة بمكان أن نحصي عددهم ولكننا نلقي الضوء على أبـرزهم وفـي طليعتهم ابنه صالح بن أحمد بن حنبل (٢٠٣هـ - ٢٦٥هـ) وهو أكبر أبنائه سنا ، وقد كان يجلس في حلقة أبيه العامة ، كما كان يجلس في حلقته الخاصة . وكان صالح ذا علم وفقه وحديث ، وقد تولى القضاء ، فاستطاع أن ينقل فقه أبيه ، إلا أنه حينما تولى أمر قضاء أصبهان أخذ يبكي حتى أبكى من حوله ثم قال لهم : أتدرون ما الذي أبكاني ؟ ذكرت أبي أن يراني في مثل هذا الحال ، وكان عليه السواد الشعار الرسمي للعباسيين ، ومضى يقول : كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو رجل متقشف لأنظر إليه فيجب أن أكون مثله ، وتذرف دمعة أخرى من عين صالح ويقول : أتراني مثله ؟ ولكن يعلم الله ما دخلت في هذا الأمر إلا لدين غلبني وكثرة العيال . (البغدادي . د.ت . ص ٣١٨) ولم يزل صالح بأصبهان حتى مات بها ، ولم يشغله أمر ولايته للقضاء عن الجلوس للفتيا والحديث بين الحين والآخر .

ومن أشهر تلاميذ الإمام أحمد – رحمه الله – ابنه عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢١٣هـ - ٢٩٠هـ) وكان عبد الله أوفر حظا وأرفع قدرا في العلم من أخيه صالح على الرغم من كون صالح أسن منه ، ذلك أن أباه شهد له بذلك قائلا لصديقه عباس الدوري : (يا عباس إن أبا عبد الرحمن – يعني عبد الله – قد وعى علما كثيرا) . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٩٤٠)

وكان الإمام أحمد – رحمه الله – يعتمد كثيرا على ولده عبد الله في تثبيت الأحاديث التي يحفظها ، فيقول : (ابني عبد الله محظوظ من علم الحديث ، لا يكاد يذاكرني إلا بما لا أحفظ) . (البغدادي . د.ت . ص ٣٧٦) ولا شك أن عبد الله كان على دراية بالأحاديث التي يرويها والده بحكم مخالطته العلمية والبيتية والبنوية لوالده إمام السنة أحمد بن حنبل .

ومن تلاميذ الإمام أحمد – رحمه الله – عبد الملك الميموني (١٨١هـ - ٢٧٤هـ) وهو عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران الجزري . وقد صحب الإمام أحمد سبعة وعشرين عاما ، وكان حسن الكتابة عن أحمد كثير السماع . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص ٩٢٦)

ومن تلاميذه أبو بكر المروذي واسمه أحمد بن محمد بن الحجاج وهو ألصق أصحاب الإمام به ، وأقرب تلاميذه إليه ، وأكثرهم حيازة بثقته ، فقد كان يقول : (كان أبو عبد الله – يعني الإمام – يبعث بي في الحاجة فيقول : كل ما قلت على لساني فأنا قلته) . (البغدادي . د.ت . ص٤٢٤) كان المروذي بحرا من العلم ، وكان عنده أكثر كتب الإمام أحمد ، وقد ضرب أروع المثل في الوفاء ، فبعد وفاة الإمام أحمد لم يجد المروذي متنفساً يخفف ما به من لوعة لفراق شيخه إلا الغزو في سبيل الله ، فخرج من بغداد والآلاف من الناس يسيرون في وداعه ، وجعل يرد الناس فلا يرجعون حتى وصل الركب سامرا ، فحزروا عدد الناس فإذا هم خمسون ألفا غير من رجع ، فقيل له : يا أبا بكر احمد الله فهذا علم قد نشر لك ، فبكى ثم قال : ليس هذا العلم لي وإنما هو علم أحمد بن حنبل . (البغدادي . د.ت . ص ٤٢٤)

إن تلاميذ أحمد بن حنبل ومؤيديه ومن اقتنعوا فقهه وأحاديثه كانوا من الكثرة بمكان ، وكانوا معروفين في أنحاء الأقطار الإسلامية نظرا لمكانة الإمام أحمد العلمية والفكرية ، وقد ساهموا بلا شك في انتشار مذهبه وفكره في جميع أنحاء العالم .

٦. مؤلفاته :

كان الإمام أحمد بن حنبل منقطعاً إلى العلم بصفة عامة ، وللحديث بصفة خاصة ، ولذلك فإنه ترك رصيداً نفيساً من المؤلفات تندرج جميعاً تحت باب الحديث أكثر من اندراجها تحت أي باب آخر من العلوم الدينية .

والكتب التي ذكرت لابن حنبل هي كتابه العظيم المسند ، والتفسير ، والناسخ ، والمنسوخ ، وحديث شعبة ، والمقدم والمؤخر في كتاب الله ، وجوابات القرآن ، والمناسك الكبير ، والمناسك الصغير .

والكتب التي بين أيدينا مطبوعة للإمام هي : المسند ، وكتاب الصلاة وهو كتاب صغير ، وكتاب السنة وهو رسالة صغيرة ، وكتاب الورع ، وكتاب الزهد ، وكتاب مسائل الإمام أحمد الذي جمعه أبو داود السجستاني وقام على نشره الشيخ رشيد رضا ، ورسالة الرد على الجهمية . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص٩١٦)

هكذا عرضت الباحثة لسيرة أئمة المذاهب الأربعة بغرض تتبع المواقف التي أثقلتهم تربوياً ، علما بأنهم كانوا يمثلون نماذج من طلاب العلم ، ومن العلماء والمعلمين في ذلك العصر إلا أن زيادة اهتمامهم بالأمور الفقهية وتركيز انتباههم على خدمة المسلمين أدى إلى تقديم مناهج معينة لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها ، فكانت نتيجة ذلك ظهور المذاهب الأربعة .

واستكمالاً لمعرفة النماذج التي مثلوها في تعلمهم وتعليمهم ستعرض الباحثة في الفصلين القادمين العديد من الآداب التي انتهجوها كمعلمين ومتعلمين ، وهي وإن تعددت تلك الآداب فإنها ستعود في آخر الأمر إلى مصدريها الأساسيين : القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، كمصدرين أساسيين من مصادر فقه الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى .

(الفصل الثالث)

آداب العالم المعلم عند الأئمة الأربعة

لقد أولى الله سبحانه وتعالى العالم منزلة عظيمة ، ومما دل على ذلك تعدد الآيات القرآنية التي توضح تلك المنزلة ومنها قوله عز من قائل : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) المجادلة /١١ . وقوله تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) آل عمران/١٨ . وليزداد المعلم أهمية وفضلاً فقد بعث الله تعالى به نبيه محمد ﷺ بل وامتن علينا بذلك حيث قال تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) آل عمران/١٦٤ . ولأن رسول الله ﷺ كان مستشعراً لأهمية تلك المهمة التي أولاها إياه ربه عز وجل فقد كان ﷺ يتلوا على المسلمين آيات القران الكريم ويشرحها لهم ويعلمهم أمور دينهم وعباداتهم ويعمل على تطهير نفوسهم وتزكيتها ويقول لهم " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني" رواه الإمام أحمد (سنن الإمام أحمد ، حديث رقم ١٧١٥٣

تتضح أهمية المعلم ودوره العظيم في بناء مجتمع صالح مؤمن يهتدي بعلمه إلى تحقيق إيمانه بالخالق جل وعلا تمشياً مع قوله تعالى : (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) الحج/٥٤ . ولتحقيق ذلك فقد لزم الأمر أن يتحلى المعلم بجملة من الآداب التي تستنبطها الباحثة من منهج الأئمة الأربعة في حياتهم التعليمية والتي تحلو بها كمعلمين ومنها :-

أولاً : نشر العلم وإخلاص النية لله تعالى في ذلك :ـ

إن أول ما يُتطلب من المعلم في عمله إخلاص النية لله تعالى ، فلا يرتجي كسب شهرة أو مال أو مماراة سفيه أو اعتلاء منصب أو غير ذلك وعليه أن يجاهد نفسه في ذلك . قال تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) البينة / ٥ ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ توعده لمن خالفت نيته الإخلاص بقوله ﷺ " لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ، ولا تخيروا به المجلس ، فمن فعل ذلك ، فالنار النار " أخرجه ابن ماجة (سنن ابن ماجة ، ج١ ، ص٩٣ ، حديث رقم ٢٥٤) .

إن شعور المتعلمين بإخلاص معلمهم وحرصه على مرضاة الله تعالى يغرس في نفوسهم شعوراً عميقاً بالمسؤولية ، ويدفعهم لأداء واجباتهم برغبة وبصورة مستمرة ، لذلك فإن عليه (أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى ونشر العلم وإحياء الشرع ودوام ظهور الحق وخمول الباطل ودوام خير الأمة بكثرة علمائها) . (الكناني . د.ت . ص ٤٧)

كذلك فإن أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ قد أكد لنا أن من خالفت نيته الإخلاص في علمه فإنه يحرم بركته ولا يستفيد منه ، غير أن إخلاص النية يهدي صاحبه إلى الانتفاع بعلمه ورسوخه في قلبه . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٤٩)

والتعليم بالنسبة للمعلم عمل ، وكافة الأعمال الصادرة عن الإنسان مرهونة قبولاً أو رفضاً بالنوايا والمقاصد ، وهذا ما يؤكده قول الرسول ﷺ : " إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه " رواه النسائي . (سنن النسائي . كتاب الجهاد ، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر . حديث رقم ٣١٤٢)

وقد صرح بذلك الشافعي ـ رحمه الله ـ بقوله (من أراد الآخرة فعليه بالإخلاص في العلم) . (كلكل . ١٩٦٩م . ص١٣) ووافقه على ذلك الإمام مالك ـ يرحمه الله ـ حيث قال لتلميذه ابن وهب (إن كنت تريد بما تعلمت الدنيا فليس في يدك شيء) . (القاضي . د.ت . ص٢١٩)

ولمـا كـان الـريـاء مفسد للإخـلاص في النيـة شـدد ابن حنبل – رحمه الله – على الابتعـاد عنـه بكـل الوسـائل وصـرح بذلك واعتبر إظهـار المحبرة مـن الرياء ، لذلك فقـد كـره الشـهرة التـي اكتسـبها والتـي لـم يحـبها لأنـه لم يـردهـا بعلمـه وتعليمـه واعتبر شهرته إنما هي ابتلاء له حتى أنه تمنى الموت حتى يتخلص منهـا . (الذهبي . د.ت . ص٧٤)

ونجـد أن أبـى حـنيفـة – رحمه الله – أكـد علـى وجـوب العـمل علـى نشـر العـلم بعـد إخـلاص النية فيه عمـلاً بقوله تعالـى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ) آل عمران/١٨٧ ونفـى أن يكـون للعـلـم خـواص وعـوام . (الصيمري . ١٤٠٥هـ . ص٤٨) فقـد كـان رسـول الله ﷺ يقـول " مـن سُئل عن علـم فكـتمـه ألجـم يوم القيامـة بلجام من نـار " . رواه ابـن مـاجـة (سـنن ابـن مـاجـة ، ج ١ ، ص ٩٧ ، حديث رقم ٢٦٣) ومـا ذلك إلا لمـا لنشـر العـلم مـن فـوائد تتـجلـى فـي بـلـوغ العـلم ووصـولـه إلى عقلٍ مُتَفَهِّمٍ أو إدراكٍ متـأمِّلٍ فـرُبَّ مبلَّـغ أوعـى مـن سَامِعٍ .

ثانياً : استمرار التزود من العلم والتوسع فيه : ـ

لاشك أن على كل عالم ومعلم أن يضع نصب عينيه وجوب التزامه باستمرار التعلم والتزود منه ، كيف لا والأمر الإلهي للنبي ﷺ صريح في قوله تعالى : (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) طه/١١٤ . وقد أخبرنا القرآن الكريم عن قصة طلب موسى عليه السلام العلم من عبد الله الخضر عليهما السلام . وفي هذا قال قتادة : لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء لاكتفى موسى عليه السلام ، ولكنه قال : (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً) الكهف/٦٦ . (القرطبي . ١٤١٨هـ . ص١٢١)

وقد اعتبر رسول الله ﷺ ذلك من التقوى ، فعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ " من معادن التقوى تعلمك إلى ما علمت ما لم تعلم ، والنقص فيما قد علمت قلة الزيادة فيه ، وإنما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم قلة الانتفاع بما قد علم " رواه الطبراني في الأوسط (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج١ ، ص١٣٦ ، باب الزيادة من العلم والعمل به) .

فلا عجب بعد ذلك إذا علمنا أن أبى حنيفة – رحمه الله – كان يوصي طلابه بالاستمرار في طلب العلم مهما كلفهم ذلك من نقص قوت أو تقتير عيش ، وحذرهم من الإعراض عن طلبه ، فقد ورد قوله لأحد تلاميذه (وإن بقيت عشر سنين من غير قوت ولا كسب فلا تعرض عن العلم فإنك إذا أعرضت كانت معيشتك ضنكا على ما قال تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) طه / ١٢٤. (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٧٣)

وقد كان – يرحمه الله – يقضي سنوات طوال لحل مسألة تقابله ، يتفكر فيها ويضرب الأمثال عليها ويصنف أقوال الصحابة كلا على حدة حتى يصل في آخر ذلك إلى ما يجده الأصوب في نظره ، وهو في كل ذلك يستخدم الترتيب المنطقي والذي لا يعارضه العقل . يقول يحيى بن زكريا بن أبي زائدة : قلت لأبي حنيفة لم جعلت الجد أباً وقد اختلف الصحابة فيه ؟ قال : أترى أني جعلت ذلك بالجزاف ؟ أقمت عشرين سنة أتفكر وأضرب الأمثال وأفرز قول كل صحابي على الأصول

القائمة فلم أر أصوب من قول الصديق وابن عباس رضي الله عنهم ، ثم قال : ما قولك فيمن مات عن ابن وأخ ؟ قلت : المال للابن ، قال : فما قولك في ابن الابن والأخ ؟ قلت : المال لابن الابن ، قال : فما قولك في الأب والأخ ؟ قلت : المال للأب ، قال فما قولك في أب الأب والأخ ؟ فسكت فقال : امض كما مضيت في الأول .
(الكردري . ١٤٠١هـ . ص١٦٨)

وهذا مما يؤكد لنا على أن الاستمرار في تحصيل العلم وطلبه هو من أقوى أسباب نجاح المعلم ، حيث لا يأخذ من العلم أيسره ، بل يسعى لتحصيل أكبر قدر منه ولو تطلب منه ذلك أن يقضي سنيناً وأعواماً .

ووصف لنا الشافعي – رحمه الله – السعادة التي يجدها في سهره لطلب العلم والتزود منه في قوله :

سَهَري لِتنقِيح العُلومِ ألذُّ لي   مِن وَصلِ غَانِيَةٍ وطِيبِ عِنَاقِ
وصَرِيرُ أقلامِي على صَفحَاتِهَا   أحلى مِنَ الدَّوكَاءِ والعُشَّاقِ
وألذُّ مِن نَقرِ الفَتَاة لِدَفِّهَا   نَقري لألْقِي الرَّملَ عَن أوراقِي
وتَمَايُلِي طَرَبَاً لِحَلِّ عَويصَةٍ   فِي الدرسِ أشهَى مِن مُدامَةِ سَاقِي
وأبِيتُ سَهرَانَ الدُّجا وتبيتُهُ   نَوماً وتَبْغِي بَعدَ ذاك لَحَاقِي

(الشافعي . د.ت . ص٦٣)

ولعل قارئ أبيات الشافعي السابقة يدرك أن حبه لطلب العلم وتحصيل المزيد فيه بلغ عنده أكثر من حب العشاق حتى أنه كان يتمايل طرباً لحل مسألة عويصة ، ولا شك أن ذلك إنما يعكس لنا رقي الشافعي في فكره وسلوكه.

ولأن الاستمرار في طلب العلم يزكي النفوس ويرقى بالعقول فإننا نجد الإمام مالك – يرحمه الله – محباً له ، مرشداً إليه طلابه ، حاثاً لهم عليه ، وكان دائماً يوصيهم بقوله (تزاوروا وتذاكروا الحديث) . (القاضي . د.ت . ص١٧٥)

وأي فضل يبتغيه المرء من الموت شهيداً والنبي ﷺ قد بشر به طالب العلم فقال " إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحالة مات

وهـو شـهيد " رواه الـبـزار (مجمـع الـزوائد ومنبـع الفـوائد ، ج١ ، ص١٢٤ ، بـاب فضـل الـعـالـم والمـتـعلـم) .

لذلـك فـقـد كـان الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – دائمـاً يقول (مع المحبرة إلـى المـقـبـرة) . (أبـو زهـرة . د.ت . ص٣٠٨) وهـذا يـدل عـلـى حـرص الإمـام أحمـد بن حـنبل عـلى الاسـتمرار في طـلب العـلم .

إن وجـوب الاستمرار في تحصيل العـلوم والتـوسع فيهـا مطـلـبٌ حتميٌ يلمس أهميته كل عـالم وخـاصة في وقتنا الحاضر الذي نشهـد فيه انفجاراً عـلمياً . وكنتيجة لمـا تفرضـه علينا حياتنـا المعاصـرة مـن التغيـر المستمر والسـريع فإنـه يجـب عـلـى القائمين عـلى التعـليم والمشتغـلين به إعـادة النظـر فيمـا يقـدم لأبنـائنـا الطلبة لضمـان تجـديده وتقـديمـه بمـا يتنـاسب مـع الـوقـت ، كذلك فـإن عـليهم النظـر في إعـداد برامج إعـادة تأهيل لأبنـائنـا الخـريجين لتلافي حدوث فجوة علمية بين العنصرين (الطـالب والخـريج) .

ثالثاً : العمل بمقتضى العلم :-

إن من أهم الأمور التي تجب على المعلم الالتزام بها العمل بالعلم الذي عنده ، حيث لا نفع للعلم دون عمل . لذلك فقد استنكر الله تعالى هذه الفئة بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) الصف / ٢،٣ .

وقد استعاذ الرسول ﷺ من العلم الذي لا ينفع وأكد على أن علم المرء هو من أول الأمور التي يُسأل عنها العبد يوم القيامة فقال " لا تزول قدم ابن آدم – يوم القيامة عند ربه – حتى يُسأل عن خمس : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيما علم " رواه الترمذي (سنن الترمذي . ج٧ . كتاب صفة القيامة . حديث رقم ٢٤٦١ ، ص٩٦)

وكان من أهم وأعظم وأبرز آدابه ﷺ في التعليم العمل ، فكان ﷺ إذا أمر بشيء عمل به أولاً ، فعن ابن إسحاق أن النبي ﷺ بعث إليه عمرو بن العاص يدعوه إلى الإسلام ، فقال : (لقد دلني على هذا النبي الأمي : أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به ، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له ، وأنه يَغْلِبُ فلا يَبْطَر ، ويُغلبُ فلا يُهجَر – أي لا يقول القبيح من الكلام – وأنه يفي بالعهد ، وينجز الوعد ، وأشهد أنه نبي) . (ابن حجر . د.ت . ص ٥٣٨)

يقول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ : (يا حملة العلم اعملوا به ، فإنما العالِم من علم ثم عمل بما علم ، ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم ، تخالف سريرتهم علانيتهم ، ويخالف عملهم علمهم ، يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا ، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل) . (السيوطي . ١٩٥٢م . ص ١٨٢)

واعتبر القرضاوي أن العلم النافع هو الذي يقترن بالعمل وهو الذي يرى الناس أثره على صاحبه فهو يورثه نوراً في الوجه ، وخشية في القلب ، واستقامة في السلوك ، وصدقاً مع الله ، ومع الناس ، ومع النفس . (قرضاوي . ١٤٢٠هـ . ص٧٧)

ثم قبل ذلك نرى أبى حنيفة – رحمه الله – يعتبر العمل تبعاً للعلم ، كما الأعضاء تتبع للبصر ، ويعتبر العلم مع العمل القليل أنفع من الجهل مع العمل الكثير . (أبو حنيفة . ١٣٩٢هـ . ص٣٢) ، وهو يقول (ما اجترأت على الله تعالى منذ فقهت) .(المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٥٤) ، وهو كذلك يرى أن على العالم أن يعمل بعلمه أكثر مما يدعو الناس إليه . (المكي . ١٤٠١هـ . ص١٦٦)

ويصنف الشافعي – يرحمه الله – الناس تصنيفا يُعرف به كل واحد منهم فيرى الفقيه هو مَن تفقه بفعله لا بقوله ، والرئيس بخُلُقه لا بمنصبه ، والغني بنفسه لا بماله . فيقول :

إنَّ الفقِيهَ هُو الفَقِيهُ بِفعلِهِ   ليسَ الفقِيهُ بِنُطقِهِ ومَقَالِهِ
وكذا الرئيسُ هو الرئيسُ بخلقِهِ   ليسَ الرئيسُ بقومِهِ ورجَالِهِ
وكذا الغَنِيُّ هو الغَنِيُّ بِحَالِهِ   ليسَ الغَنيُّ بِمُلكِهِ وبِمَالِهِ

(الشافعي . د.ت . ص٦٩)

وهو لذلك اعتبر أن أولياء الله تعالى هم الفقهاء العاملون .

ويؤكد على أهمية العمل بمقتضى العلم فيقول :

يَا واعِظَ النَّاسِ عَمَّا أنت فَاعِلُه   يا مَن يُعَدُّ عَليهِ العُمْرُ بِالنَفَسِ
احفَظْ لِشَيبِكَ مِنْ عَيبٍ يُدَنِّسُهُ   إنَّ البَيَاضَ قَلِيلُ الحَمْلِ للدَّنَسِ
كَحَامِلٍ لِثِيَابِ النَّاسِ يَغسِلُهَا   وثَوبُهُ غَارِقٌ فِي الرجسِ والنَّجَسِ
تَبغِي النجَاةَ ولَمْ تَسلُك طَرِيقَتَهَا   إنَّ السَفِينةَ لا تَجرِي على اليَبَسِ
رُكُوبُكَ النَّعشَ يُنسِيكَ الرُكوبَ على   ما كنت تَركَبُ مِن بَغلٍ ومِن فَرسِ
يَومَ القِيامَةِ لا مَالٌ ولا وَلَدٌ   وضَمَّةُ القَبرِ تُنسِي لَيلَةَ العُرسِ

(الشافعي . د.ت . ص ٥١)

ولعل حرص الإمام أحمد – رحمه الله – على الاقتداء بالرسول ﷺ أكبر دليل على وجوب العمل بمقتضى العلم فقد بلغ عنه أنه كان شديد الحرص على ذلك في كل أموره وهو يقول في ذلك (ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به ،

حتى مر بي أن النبي ﷺ إحتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً فأعطيت الحجام دينار حين لحتجمت) . (الذهبي . د.ت . ص٧٤)

وقال الإمام أحمد – رحمه الله – :

واعمل بعلمك سراً أو علانية ينفعك يوماً على حال من الأحوال

(الجوزية . د.ت . ص ٧٩)

والتزم رحمه الله السنة وهو في محنته ، فقد لختفى حين اضطهده الواثق عند إبراهيم بن هاني في بيته في بغداد ، فلما مضت أيام ثلاثة قال له أحمد : اطلب لي موضعا حتى أتحول إليه ، فقال له إبراهيم : لا آمن عليك يا أبا عبد الله ، فقال الإمام : إذا فعلت أفدتك . قال إبراهيم : فطلبت له موضعاً – أي هيأت له مكاناً آخر يختبئ فيه – فلما خرج قال لي : (لختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام ثم تحول ، وليس ينبغي أن نتبع رسول الله ﷺ في الرخاء ونتركه في الشدة) . (أبو النعيم . د.ت . ص١٨٠)

ويُوجب الغزالي (أن يكون المعلم عاملاً بعلمه ، فلا يكذب قوله فعله ، لأن العلم يُدرك بالبصائر والعمل يُدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل العلم مُنع الرشد ، وكل من يتناول شيئاً وقال للناس : لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به) . (عطار . ١٣٨٦هـ . ص ١٠٤)

مما سبق نرى أن العمل بمقتضى العلم هو الغاية إذ لا جدوى من علم لا ينفع صاحبه ولا يقيم سلوكه ولا يظهر أثره على فعله . وما أشبه العالم دون عمل بالجاهل .

رابعاً : الموضوعية :ـ

تعني الموضوعية عدم تعصب العالم لرأيه بل يجب عليه أن يتحرى الصواب وأن يكون الصواب هو هدفه سواء كان عنده أو عند غيره ، وينبغي عليه أن يرجع عن رأيه متى ظهر له خطؤه ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها .

ولا شك أن المعلم الذي يقول لا أدري عندما لا يدري ويعترف بخطئه إذا أخطأ يكسب ثقة طلابه ومحبتهم ويقبلون عليه بالسؤال والاستفسار لشعورهم بأنه صاحب حقيقة يجهر بها ، فهذا أبو بكر ﷺ مع ما خصه الله تعالى به من الفضل والعلم يقول : (أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم) . (ابن عبد البر . ١٤١٨هـ . ص ٦٤-٦٥)

وكان الأئمة الأربعة – رحمهم الله تعالى – ينشدون الحق ويتحرون الصواب ولا يمنعهم شيء من الأخذ به أينما كان قال الدراوردي : (رأيت مالكا وأبا حنيفة في مسجد رسول الله ﷺ بعد العشاء الآخرة ، وهما يتذاكران ويتدارسان حتى إذا وقف أحدهما على القول الذي قال به وعمل عليه أمسك أحدهما عن صاحبه من غير تعسف ولا تخطئة لواحد منهما) . (الصيمري . ١٤٠٥هـ . ص٨١)

وقد كان أبو حنيفة دائماً يقول (قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا) . (البغدادي . د.ت . ص٣٥٢)

وقال أحمد بن حنبل (قال لنا الشافعي : أنتم أعلم بالحديث مني فإذا صح عندكم فقولوا لنا حتى آخذ به) . (الكناني . د.ت . ص٢٩)

ومما ورد عن الإمام مالك – رحمه الله – قوله لأحد طلابه حين أراد أن يكتب عنه مسألة من المسائل : (لا تكتبها فإني لا أدري أثبت عليها أم لا) . (القاضي . د.ت . ص ١٦٦)

وذلك يدل على حرص الإمام مالك – رحمه الله – على تحري الصواب ، والتأكد من صحة ما يملي على طلابه قبل أن يكتبوه .

إن على العلماء أمانة عظيمة في التعليم ، إذا استشعرها كل معلم لم يأنف أن يرجع إلى الصواب متى علمه ، كيف لا وهذا العلم داع إلى دين الله ودليلا إليه . كان أبو حنيفة يجسد لنا تلك الأمانة بقوله (العلم يحتاج أن يعرض على الله تعالى فلا تأنف إن أخطأت أن ترجع إلى الحق) . (الكردري . ١٤٠١هـ . ص٢٣٦)

وقد ورد عن عمر مولى غفرة قوله (لا يزال العالم عالماً مالم يجسر برأيه ، ولم يستحي أن يمشي إلى من هو أعلم منه) . (القرطبي . ١٤١٨هـ . ص١٥٣)

ذلك هو أدب المعلم المخلص لله تعالى الذي يوظف علمه للدعوة إلى الله عز وجل ، فلو استشعر كل معلم خطورة التعصب لرأيه وما يتبع ذلك من ذنب تعليم خطأ لمتعلم ، وإذا ما أدرك أن الخطأ الذي تعصب له سيستمر من متعلم إلى آخر وأن الذنب عائد إليه في كل من يسير على قوله ، لهان عليه الاعتراف بالخطأ وللتزم الموضوعية الكاملة في علمه .

خامساً : التـواضـــع :ـ

إن العـالم الحقيقي هـو الـذي يدرك مـع كل حقيقة يكتشفها أنه يجهل أكثر مما يعلـم ، فـلا يـزيده ذلك إلا تـواضـعاً لله تـعـالـى القائل : (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً)الاسراء/٨٥ .

قـال الشافعـي :

كُـلَّمَا أدبنِي الـــدهـــــرُ أرَانِي نَقْــصَ عَقلِي

وإذا ما ازددت عـلـــمــاً زادنــي عِلمَاً بِجَـهـلِـــي

(الشافعي . د.ت . ص٧٠)

فالتـواضـع يـزيـد العـالم علما ورفـعـة ومكانة عند الناس .

وهو سبحانه وتعالى الذي أمر نبيه ﷺ بالتواضع في قوله عزوجل: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الشعراء / ٢١٥ . والذي يدرس سيرة خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام يجد أنه ضرب أروع الأمثلة في التواضـع ، يتعامل مـع الصـغير كما يتعامل مـع الكبير ، يحدث الصبيان ويداعبهم ، ولا ينكر بأنـه في يوم من الأيـام كان يرعى الغـنم . عـن أبي هـريرة ﷺ قـال : قـال رسول الله ﷺ " مـا بعث الله نبياً إلا رعى الغنم " قال أصحابه : وأنت ؟ فقال " نعم كنت أرعـاها على قراريط لأهـل مكـة " رواه البخاري (صحيح البخاري ، ج٢ ، ص ٧٨٩ ، كتاب الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريـط ، حديث رقم ٢١٤٣) .

و عـن أبـي هـريرة ﷺ قـال : قـال رسـول الله ﷺ " لو دُعـيت إلـى كـراع لأجبت ، ولو أهـدي إلي كـراع لـقبلت " رواه البخـاري (صحيح البخاري ، ج٥ ، ص١٩٨٥ ، باب من أجـاب إلـى كـراع ، حديث رقم ٤٨٨٣) .

وقـد كـان ﷺ أتـم ما يكون تواضـعـاً للمتـعلم والسـائـل المستفيد والضعيف الفهم ، فـعـن أبي رفاعـة العـدوي ﷺ قال : (انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب ، قال : فقلت : يا رسول الله ، رجل غريب جاء يسأل عن دينه ، لا يدري ما دينه . قـال : فأقبل علـي رسـول الله ﷺ ، وتـرك خطبته حتـى انتهى إلـي ، فأتـى بكرسـي حسبت قوائمه حديداً ، قال : فقعد عليه رسول الله ﷺ وجـعـل يعلمني مما علمه الله ، ثم أتى

خطبته فأتم آخره) رواه مسلم (صحيح مسلم ، ج٦ ، ص١٣٧ . حديث رقم ١٩٧٥)

وقالوا المتواضع من طلاب العلم أكثر علماً كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء . (القرطبي . ١٤١٨هـ . ص١٧٠) وهو فوق كل ذلك أمر إلهي فرسول الله ﷺ يقول فيما رواه أنس بن مالك " إن الله عز وجل يأمركم أن تتواضعوا ، ولا يبغ بعضكم على بعض " رواه ابن ماجة (سنن ابن ماجة ، ج٢ ، ص١٤٠٩ . حديث رقم ٤٣٠٥)

وقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ قوله : (تعلموا العلم ، وعلموه للناس ، وتعلموا له الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه ، ولمن علمتموه ، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم) . (ابن عبدالبر . ١٤١٨هـ . ص ١٤٨)

كان أبو حنيفة – رحمه الله – يرى أن العلم بحرٌ واسع لا يحيطه أحد غير الله سبحانه وتعالى فقد كان يقول لتلميذه السمتي (واطرح الكبر جانباً) . (أبو حنيفة . ١٩٣٦م . ص١٠) ، كما أنه قال لمن جاء يسأل عن دكان أبي حنيفة الفقيه (ليس هو بفقيه وإنما هو مفتٍ متكلفٍ) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٥٣) وعن أشهب بن عبد العزيز قال : (رأيت أبا حنيفة بين يدي مالك كالصبي بين يدي أبيه) . (الكناني . د.ت . ص٢٨) وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على تواضعه ﷺ مع كونه أسن من مالك بثلاث عشرة سنة .

وهذا الإمام الشافعي – يرحمه الله – يؤكد لنا حبه للصالحين بلغةٍ مليئة بالتواضع . فهو مع شمول علمه لا يرى في نفسه الكفاية لأن يكون من الصالحين فيقول :

أحِبُّ الصَالِحينَ ولستُ منهُم لعَلّي أن أنَال بهم شَفَاعَة
وأكرَهُ مَن تِجارتُهُ المَعاصي ولو كنّا سواءً فِي البضاعة

(الشافعي . د.ت . ص٥٦)

وينهى الشافعي عن الكبر والتفاخر فيقول :

ولا تمشين في منكب الأرض فاخراً فعما قليل يحتويك ترابها

(الشافعي . د.ت . ص ٢١)

ويصف لنا أحد تلاميذ مالك – رحمه الله – مالكاً بقوله (كان مالك إذا جلس معنا كأنه واحد منا ، ينبسط معنا في الحديث وهو أشد تواضعا منا) . (أبو زهرة . د.ت . ص٤٤)

وكان كل أصدقاء ابن حنبل يؤكدون تواضعه الشديد . فقد قال عنه صديقه الفقيه الجليل يحيى بن معين (ما رأيت خيراً من أحمد بن حنبل ، ما افتخر علينا بالعربية قط ولا نكرها ، صحبته خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء كان فيه الصلاح والخير) . (البغدادي . د.ت . ص٤١٤)

ويرى ابن جماعة – رحمه الله – أن على المعلم أن يتواضع مع طالب العلم ومع كل مسترشد سائل إذا قام بما يجب عليه من حقوق الله تعالى وحقوقه ، وأن يخفض له جناحيه ، ويلين له جانبه . (الكناني . د.ت . ص ٦٤)

سادساً : العِزة :ـ

وهي لا تنافي التواضع ولا تعني الغرور أو الكبرياء ، إنما هي من فضائل المؤمنين كما في قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) المنافقون/٨ . وعزة العالم إنما تعني أن يكون عزيز النفس صائناً لدينه وعلمه عن الابتذال ، فهي عزة بالعلم والإيمان ، وليست عزة إثم وعدوان ، مصدرها هو الله عز وجل ، لا تطلب من سواه . قال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً) فاطر/١٠

لقد كان العلماء يلقنون طلابهم حفظ قصيدة الجُرجاني علي بن عبد العزيز التي مطلعها :

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موضع الذل أحجما

أرى الناس من دانهم هان عندهم ... ومَن أكرمته عزة النفس أكرما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعَظّما

(أبو زيد . د.ت . ص٧٣)

هذه هي عزة العلماء ، عزتهم بما يحفظون في صدورهم من كتاب الله ، وما يحملون في أيديهم من مصابيح هداية للأمة ، وهو ما أكد عليه معنى قوله ﷺ " من قرأ القرآن ثم رأى أحداً أوتي أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله تعالى " . أخرجه الطبراني بسند ضعيف (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج٧ ، ص ١٥٩ ، باب فضل القرآن) .

وحينما ضرب أبو حنيفة قالت له أمه (يا نعمان إن علماً أكسبك مثل هذا لقد يحق لك أن تفر منه . فقال لها : يا أماه لو أردت به الدنيا لوصلت إليها ولكن أردت أن يعلم الله أني قد صنت العلم ولم أعرض نفسي فيه للهلكة) . (الصيمري . ١٤٠٥هـ . ص٦٣)

وهو يغرس في طلابه تلك العزة حيث يوصيهم ألا يتكلموا في مجلس المناظرة على خوف أو وجل لأنهما يورثان الخلل في الخاطر والزلل في اللسان . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٧٤)

ويؤكد الشافعي – رحمه الله – على أن العلم يورث صاحبه عزة وكرامة ويرفعه حتى يصبح بعلمه معظماً من كرام القوم فيقول :

رأيتُ العِلمَ صَاحِبُهُ كَريمٌ ولو ولدَتهُ آباءٌ لِئامٌ
وليسَ يَزَالُ يَرفَعُهُ إلى أن يُعَظِّمَ أمرَهُ القَومُ الكِرامُ

(الشافعي . د.ت . ص٧٤)

وصيانة العلم هي المحافظة عليه فلا يدفع لغير أهله ولا لمن ليسوا بحاجة إليه ، إذ أن في ذلك مضيعة للعلم وفقدان لقيمته .

ومن العزة وصيانة العلم عند أبي حنيفة في رسالته لتلميذه السمتي قوله (لا تحدث بفقهك من لا يشتهيه فتؤذي جليسك ، ومن قطع عليك حديثاً فلا تعده فإنه قليل المحبة للعلم والأدب) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٥٦)

ويؤكد على ذلك الشافعي ويرى أن عدم صيانة العلم ووضعه في غير أهله من الظلم ، فيقول :

العِلمُ فَضلُهُ لِمَن خَدَمَهُ أن يجعَلَ النَّاس كُلَّهُم خَدَمَه
فَواجِبُ صَونَه عليه كما يَصُونُ في النَّاس عِرضَهُ ودَمَهُ
فَمَن حَوَى العِلمَ ثُمَّ أودَعَه بِجَهلِهِ غيرَ أهلِهِ ظَلَمَه

(الشافعي . د.ت . ص٨٠)

ويؤكد ابن جماعة – رحمه الله – على ذلك بقوله في آداب المعلم : (أن يصون العلم كما صانه علماء السلف ، ويَقوم له بما جعله الله تعالى له من العزة والشرف فلا يذله بذهابه ومشيه إلى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضرورة أو حاجة أو إلى من يتعلمه منه منهم وإن عظم شأنه وكبر قدره) . (الكناني . د.ت . ص ١٦)

وعزة العلماء لا يضنيها عنهم المستكبرين بالسلطان ، أو المتفاخرين بالأموال أو الأنساب ، أو المتكاثرين بالأعداد . فقد بعث هارون الرشيد إلى مالك فقال له : يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ ، فقال مالك : (أعز الله أمير المؤمنين ، إن هذا العلم منكم خرج ، فإن أنتم

عززتموه عز ، وإن أذللتموه يذل ، والعلم يؤتى ولا يأتي) فقال صدقت . (طاش كبرى زاده . ١٩٦٨م . ص٨٦)

هذا بالفعل ما يجب أن يكون عليه العلماء ، لأن كلمتهم هي العليا فهي قبس من كلمة الله ، لا يجب عليهم الاستهانة بما لديهم من عِلمٍ . بل إن واجبهم الترفع بعلمهم عمن لا يطلبه ولا يسعى صادقاً لنيله وطلبه .

سابعاً : الحلم والصبر :-

وهما من أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بهما المعلم لكي يحقق الفائدة المرجوة في تعليمه . قال تعالى : (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) فصلت/٣٥ . فالصبر معين لصاحبه على تحقيق رجاه ومبتغاه ، كما أن الحلم واللين سبباً لالتفاف الناس حول صاحبه ، قال تعالى مخاطباً معلم البشرية الأول ﷺ : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) آل عمران / ١٥٩

ويتحدث الماوردي – رحمه الله – عن الخصال الست التي ساهمت في كمال خُلُق الرسول ﷺ فيقول : (والخصلة الثانية : ثباته في الشدائد وهو مطلوب ، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب ، ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة ، لا يخور في شديدة ، ولا يستكين لعظيمة ، وقد لقي بمكة من قريش ما يُشيبُ النواصي ، ويَهدُ الصياصي ، وهو مع الضعف يُصابر صبر المستعلي ، ويَثبُتُ ثبات المُستولي) . (أبو غدة . ١٤١٧هـ . ص ٤٣) ولذلك فإن رسول الله ﷺ يقول " ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " رواه البخاري (صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، ص ١٠٢ ، حديث رقم ٥٨٢٦) .

كان أبو حنيفة – رحمه الله – في تعليمه كما وصفه تلميذه أبو يوسف : سخياً بماله ، صبوراً على تعليم علمه ، شديد الاحتمال لما يناله فيه ، بعيد الغضب . (الصيمري . ١٤٠٥هـ . ص٥٥) ، ومما أوصى به أبو حنيفة تلميذه أبو يوسف قوله (وإياك والغضب في مجلس العلم) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٧٧)

وبلغ حلم الشافعي – رحمه الله – من السعة أنه كان يكرر على تلاميذه المسائل حتى يفهموها جيداً و(كان الربيع بطيء الفهم فكرر الشافعي عليه مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم وقام من المجلس حياءً فدعاه الشافعي في خلوة وكرر عليه حتى فهم) . (الكناني . د.ت . ص١٠٤)

ويرى ابن حنبل – رحمه الله – أن قوة الإنسان ليست القوة الجسمية وإنما قوته الحقة تتجلى في قدرته على الاستيلاء على نفسه بتقوى الله . (أبو زهرة .

١٤١٨هـ . ص٩٣) ، ووصفه أبى عمير عيسى بن محمد الرملي بقوله (رحمه الله ، عن الدنيا ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه ، وبالصالحين ما كان ألحقه ، عرضت له الدنيا فأباها ، والبدع فنفاها) . (الذهبي . د.ت . ص٦٨)

وترى الباحثة أن المعلم إذا كان سريع الغضب ، قليل الصبر ، نفر منه طلابه ، وقد يترك المتعلم السؤال عما يجهله أو يغمض عليه خوفاً من غضب معلمه . وإذا ما ساد الخوف الموقف التعليمي أربكه وأدى إلى فشله . لذلك فإن على المعلم ضبط النفس والتزام الصبر وسعة الصدر ، حتى يثمر تعليمه الثمار المرجوة . وليكون معلمونا كما أمرهم تعالى في قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) البقرة/١٥٣

ثامناً : الاتصال بالحياة الاجتماعية :ـ

إن قدرة المعلم على الاتصال بالحياة الاجتماعية خصوصاً تلك المتعلقة بطلبته تتيح له مشاركة طلابه في مشكلاتهم ، ومساعدتهم على حلها ، وتخلق بينه وبينهم جواً من الألفة والود ، ومن أمثلة ذلك الاتصال : أن يتعاهد ما يعامل به بعضهم بعضاً من إفشاء السلام ، وحسن التخاطب ، والتعاون على البر والتقوى ، وأن يسعى في مصالحهم ، ويساعدهم بما تيسر له من جاه أو مال ، وأن يسأل عن الغائب منهم فإن كان مريضاً عاده ، وإن كان مسافراً تفقد أهله .

يدل على ذلك ما قاله زفر بن هذيل تلميذ أبي حنيفة في وصفه حيث يقول : (جالسته أكثر من عشرين سنة فلم أر أحداً أنصح وأشفق للناس منه ، وإنه كان يبذل نفسه لله تعالى ، أما عامة النهار فإنه كان مشغولاً بالمسائل وحلها وتعليمها وما يعرض عليه من النوازل وجوابها ، فإذا قام من المجلس عاد مريضاً ، أو شيع جنازة ، أو واسى فقيراً ، أو واصل أخاً ، أو سعى في حاجة ، فإذا كان الليل خلا لتلاوته والصلاة . فكان هذا سبيله حتى توفي) . (الكردري . ١٤٠١هـ . ص٣٧٣)

وهو في رسالته إلى تلميذه السمتي يوصيه بقوله (ولتكن لك بطانة تعرفك أخبار الناس ، فمتى عرفت بفساد بادرت إلى إصلاحه ، ومتى عرفت بصلاح ازددت فيه رغبة وعناية) . (أبو حنيفة . ١٩٣٦م . ص٨)

أما الشافعي – رحمه الله – فقد رأى أن الاعتدال بين الانبساط والانقباض عن الناس أولى فالانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء ، كما أن الانقباض عنهم مكسبة للعداوة . (البيهقي . د.ت . ص١٩٠)

وأما الإمام أحمد – رحمه الله – فقد قال عنه أصحابه (إن أحدا لم يره إلا في مسجد مصلياً معلماً ، أو في جنازة معزياً مواسياً ، أو يعود مريضاً

مـؤنـسـاً داعـيـاً ، وكــان يـرتـفـع عــن الـمـشــي فـــي الأسـواق) . (أبو النعيم . د.ت . ص١٨٤)

تلك هي بـحــق حــياة المـعـلم وذاك يـومه الـذي يشـغلـه بمـا يرى فيـه تحـقيق فـائدة أو اسـتحـقاق أجـر .

تاسعاً : العناية بالمظهر العام والنظافة الشخصية :ـ

من آداب المعلم عند الأئمة الأربعة – رحمهم الله – العناية بالمظهر العام والنظافة الشخصية ، كيف لا وهم يسيرون على دين الله تعالى ويلتزمون أوامره ، ويجتنبون نواهيه ، وهو القائل في محكم كتابه : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) المدثر/٤ . فالقرآن الكريم يحث على النظافة ويدعوا إليها ، والمعلم مطالب بأن يكون قدوة للطلاب في هيئته ومظهره ولباسه ، ولذلك وجب عليه أن يهتم بمظهره ، فيكون دائماً نظيف الثياب ، مرتب الهندام ، جميل الشكل ، ومن السنة أن يستخدم المسلم الطيب إذا استطاع ، قال رسول الله ﷺ " مَن عُرض عليه طيب فلا يرده ، فإنه خفيف المحمل ، طيب الرائحة " رواه النسائي (سنن النسائي ، ج٨ ، ص ١٨٩ ، باب الطيب ، حديث رقم ٥٢٥٩) . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (أبصر النبي ﷺ ركوة فيها ماء ، فاطلع فيها فرأى رأسه ولمته ووجهه ، فقالت عائشة فقلت له في ذلك فقال " إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه فإن الله جميل يحب الجمال " (المتقي الهندي . ١٩٧١م . ص ٦٤٣) . وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب ﷺ : (إني لأحب أن أنظر إلى القارئ أبيض الثياب) . (المتقي الهندي . ١٩٧١م . ص ٣١٥)

لقد كان أبو حنيفة – رحمه الله – كما يقول عنه حفيده عمر بن حماد (لباساً ، حسن الهيئة ، كثير التعطر ، يُعرف بريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من منزله قبل أن تراه) . (الصيمري . ١٤٠٥هـ . ص١٧) ، ووصفه تلميذه السمتي بأنه (كان إذا أراد الخروج نظر إلى شسع نعله ، فإذا كان يحتاج إلى أن يصلحه أصلحه وكان كثير ما يلبس الخف فما رأيته منقطع الشسع) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص١٦٠)

ورأى أبو حنيفة على بعض جلسائه ثياباً رثة فأمره فجلس حتى تفرق الناس وبقي وحده فقال له : ارفع المصلى وخذ ما تحته ، فرفع الرجل المصلى ، فكان تحته ألف درهم ، فقال له : خذ هذه الدراهم فغير بها من حالك ، فقال الرجل : إني موسر ، وأنا في نعمة ولست أحتاج إليها ، فقال

له : أما بلغك الحديث { إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده } ؟ رواه الترمذي (سنن الترمذي . ج٥ . باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده . حديث رقم ٢٨١٩ ، ص١٢٣) فينبغي لك أن تغير حالك حتى لا يغتم بك صديقك) . (البغدادي . د.ت . ص٣٦١)

وكان يوصي تلاميذه بالاهتمام بمظهرهم ونظافتهم حيث يقول لتلميذه السمتي (واستجد ثيابك ، واستفره دابتك ، وأكثر استعمال الطيب) . (أبو حنيفة. ١٩٣٦م . ص٧) واستجده أي صيره جديداً (الرازي . د.ت . ص٩٥) والفاره من الدواب الجيد السير . (الرازي . د.ت . ص٥٠١)

أما الإمام مالك – رحمه الله – فقد كان إذا اجتمع الناس إليه لطلب الحديث اغتسل وتطيب ووضع رداءه على رأسه ثم يجلس على منصة ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ . (الكناني . د.ت . ص٣١) فقد كان يحب أن يعظم حديث رسول الله ﷺ ولذلك فقد كان يرى أن التواضع إنما يكون في النفس والدين لا في اللباس ، وكان يقول : (ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يرى أثر نعمته عليه إجلالاً للعلم) . (الزواوي . د.ت . ص ٤٢)

ويؤكد ابن جماعة – رحمه الله – أن على المعلم إذا عزم الجلوس إلى مجلس التدريس التطهر من الحدث والخبث وأن يتنظف و يتطهر وأن يلبس من الثياب أحسنها وأن يكون قاصدا بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة . (الكناني . د.ت . ص ٣٠- ٣١)

إن اهتمام الأئمة – رحمهم الله – بملازمة النظافة والطهارة في الثياب والبدن بعد طهارة الباطن والقلب دليل على شمولية علمهم وسعة أفقهم والتزامهم بعلمهم ودينهم الذي ينص على وجوب الطهارة والنظافة .

عاشرا : التزام الأخلاق والقيم الإسلامية :ـ

قال الله تعالى في وصف نبيه ﷺ : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم / ٤ ، وقد أورد الماوردي – رحمه الله – في الخصال التي اتصف بها النبي ﷺ والتي أدرجها تحت مسمى فضائل أقواله ﷺ محاسن أخلاقه ، فقال : (والخصلة الرابعة : ما أمر به من محاسن الأخلاق ، ودعا إليه من مستحسن الآداب ، وحث عليه من صلة الأرحام ، وندب إليه من التعطف على الضعفاء والأيتام ، ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد ، وكف عنه من التقاطع والتباعد ، لتكون الفضائل فيهم أكثر ، ومحاسن الأخلاق بينهم أنشر ، ومستحسن الآداب عليهم أظهر ، ويكونوا إلى الخير أسرع ، ومن الشر أمنع ، فيتحقق فيهم قول الله تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس) آل عمران / ١١٠ . (أبو غدة . ١٤١٧هـ . ص ٥٠)

فإضافة إلى ما سبق من الآداب الواجب أن يتحلى بها المعلم يرى الأئمة الأربعة – يرحمهم الله – أن على المعلم التزام الأخلاق والقيم الإسلامية وأن المعلمين هم أحوج الناس إلى ذلك لما مرَّ عليهم فيما تعلموا من فضائلها ولأنهم أعلام يقتدي بهم العامة .

يوصي أبو حنيفة – رحمه الله – تلميذه السمتي في الرسالة الموجهة إليه بقوله (ولا تكلف الناس مالا يكلفونك وارض لهم ما رضوا لأنفسهم وقدم إليهم حسن النية ، واستعمل الصدق ، واطرح الكبر جانباً ، وإياك والغدر وإن غدروا بك ، وأد الأمانة وإن خانوك) . (أبو حنيفة . ١٩٣٦م . ص١٠) ، فهو يرى أن التزام المعلم بالقيم الإسلامية واجب لا يُترك العمل به لأي سبب ، وهو يشير أيضاً إلى أن للحديث آدابا يجب التحلي بها تتمثل في خفض الصوت وقلة الحركة وعدم الصياح . (بن نجيم . ١٤٠٥هـ . ص٤٣١) لأن الهدوء والسكينة يشعران المتعلم بثبات معلمه وتمكنه .

وكان الشافعي – رحمه الله – يرى أن الأفئدة مزارع الألسن وعلى المرء أن يزرع الكلمة الكريمة لأنها إن لم تنبت كلها نبت بعضها ، وهو لذلك يوصي بعدم تتبع سوءات الناس لأن ذلك يجلب تتبع الناس لسوءاته فيقول :

إذا رُمتَ أن تَحيا سليماً من الردَى   ودينُكَ موفورٌ وعِرضُكَ صيّنُ

فلا ينطقنْ منكَ اللسَانُ بسَوأةٍ   فكُلُّكَ سَوءاتٌ وللنَّاس ألسُنُ

وعَينَاكَ إن أبدَت إليك مَعَائِبَاً   فَدعها وقُلْ يا عَينُ للنَّاس أعينُ

وعَاشِر بمَعرُوفٍ وسامِح مَن اعتَدى   وَدَافِع ولكِن بالتي هِي أحْسَنُ

(الشافعي . د.ت . ص٨٤)

وهو يعتبر تقوى المرء يجب أن تكون حاجزا ورادعاً له عن سوءات الأمور فيقول :

فَدَعْ عَنكَ سَوءَاتِ الأمُور فَإنَّهَا   حَرَامٌ عَلى نَفْس التَّقِيِّ ارتكابُها

(الشافعي . د.ت . ص٢١)

وهو يقول في آداب التعامل مع سفهاء القوم :

إذا سَبَّني نَذلٌ تَزايَدتُ رفعَةً   وما العيبُ إلا أن أكونَ مُسَابِبُه

ولو لم تَكُنْ نَفسِي عليَّ عَزيزةً   لمَكَّنتُهَا مِن كُلِّ نَذلٍ تُحارِبُه

ولو أنني أسعى لِنَفعِي وَجَدتَني   كَثِيرَ التَّوانِي للذي أنَا طَالِبُه

ولكِنَنِي أسعَى لأنفَعَ صاحِبِي   وعَارٌ على الشبعَان إن جَاعَ صَاحِبُه

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ   فَأكرهُ أن أكُونَ لَهُ مُجِيبَا

يزيدُ سَفَاهَةً فَأزيدُ حِلمَاً   كَعُودٍ زَادَهُ الإحْرَاقُ طِيبَاً

إذا نَطَقَ السفِيهُ فَلا تُجِبهُ   فخيرٌ مِن إجَابَتِهِ السُّكُوت

فإن كَلَّمتَهُ فَرَّجت عَنهُ   وإن خَلَّيتَهُ كَمَداً يمُوتُ

(الشافعي . د.ت . ص٢٢)

ويقول أصحاب الإمام أحمد في وصفه (ما رأينا أحداً في عصر أحمد أجمع منه ديانة وصيانة ، وملكاً لنفسه وفقهاً ، وأدب ، وكرم خلق ، وثبات قلب

، وكرم مجالسة ، وذكر الصالحين والزهاد ، والذاكرة بالحديث ، في وقار وسكون ولفظ حسن) . (ابن الجوزي . ١٣٩٩هـ . ص٢١٤)

ويوجب ابن جماعة على المعلم التحلي بمكارم الأخلاق من طلاقة وجه وإفشاء سلام وكف أذى ، وكظم غيظ ، والإيثار وترك الاستئثار ، وشكر المتفضل ، وبالفقراء التلطف ، والإرشاد برفق وسعة بال وغيره . (الكناني . د.ت . ص ٢٣)

وترى الباحثة أن الأدب والعلم متلازمان لا يستغني أحدهما عن الآخر ولا يكتمل دونه ، فالعلم دون أدب كالجسد دون روح ، كما أن الأدب دون علم كالروح دون جسد .

حادي عشر : القـدوة :-

إن القدوة تعني أن يكون المعلم في نفسه وفي علمه وفي تعليمه وفي قيامه بكل أموره مِثالاً حيًّا لما يدعو إليه متعلميه ، وأن يسير في كل ذلك مقتدياً بقدوتنا الأول رسول الله ﷺ . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ الأحزاب/٢١.

مما أوصى به أبو حنيفة – رحمه الله – تلميذه السمتي قوله (وأكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلموا منك ذلك ، واتخذ لنفسك كل شهر أياماً معدودة تصوم فيها ليقتدي غيرك بك في ذلك) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٧٤) ويقول في موضع آخر : (ولا ترض من نفسك من العبادات إلا بأكثر مما يفعله غيرك ويتعاطاها ، فإن العامة إذا لم يروا منك الإقبال على الطاعات بأكثر مما يفعلونها يعتقدون أن علمك لا ينفعك ولا يفيدك إلا ما أفادهم الجهل الذي فيهم) (المكي . ١٤٠١هـ . ص ٣٧٣)

وكان فيما أوصى به الشافعي مؤدب أبناء أمير المؤمنين قوله (ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تكرهه) . (ابن الجوزي . ١٣٥٥هـ . ص١٤٥) ، وهو في وصيته تلك يوضح أهمية المعلم كقدوة إمَّا حسنة وإمَّا سيئة ، ولما كان للمعلم مهمة سامية استوجب أن يكون ذا خلق سامي ، وقدوة حسنة لا سيئة .

ويؤكد إخوان الصفا على أهمية القدوة ودورها في تنشئة المتعلمين وتربيتهم ، حيث أن المتعلمين ولا سيما الصبيان منهم يتطبعون بأخلاق من تربوا ونشأوا معهم ومن يخالطونهم من آباء وأمهات ، أو إخوة وأخوات ، أو أتراب ومعلمين . (عطار . ١٣٨٦هـ . ص ٤٨)

إن المتعلم متى رأى في معلمه عدم تمسكه بما يدعو إليه من علم وخلق ظنَّ أن علمه لم ينفعه بأكثر مما نفعه هو جهله . لذا فإن الباحثة ترى وجوب اهتمام المعلمين ولا سيما في العصر الحالي برسم القدوة الحسنة في أنفسهم ليقتدي بهم متعلميهم .

ثاني عشر : المسؤولية والأمانة :-

قال تعالى : (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) الصافات/٢٤ . إن من أهم الآداب وأعظمها أن يستشعر كل معلم المسؤولية الملقاة على عاتقه ، والأمانة التي تحملها وارتضى أداءها . قال ﷺ " تناصحوا في العلم ، فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله ، وإن الله سائلكم يوم القيامة " رواه الطبراني (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج١ ، ص١٤١ ، باب النصح في العلم) وذلك لأن خيانة العلم أعظم ، فخيانة المال محدودة الضرر مهما عظمت ، أما خيانة العلم فقد تدمر مجتمعا بأكمله .

وكان مالك – رحمه الله – يقول (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون منه ، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله ﷺ عن هذه الأساطين وأشار إلى المسجد ، فما أخذت عنهم شيئاً ، وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أميناً ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن) . (القاضي . د.ت . ص١٢٢)

وقد صور أبو حنيفة تلك الأمانة في قوله (من تكلم في شيء من العلم وهو يظن أن الله لا يسأله عنه كيف أفتيت في دين الله فقد سهلت عليه نفسه ودينه) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٥١) ، وهو لما علم أهمية أداء علمه بأمانة ، حرص على ألا يحدث بعلمه إلا وهو مجتمع العقل ، صافي الذهن ، متفرغ لأداء مهمته ، وكان يطلب من تلاميذه ألا يسألوه عن أمور الدين وهو يمشي ولا وهو يحدث الناس ولا وهو قائم أو متكئ لأنه يرى أن هذه الأماكن لا يجتمع فيها عقل الرجل . (الصيمري . ١٤٠٥هـ . ص٤١)

ومن منطلق الإحساس بعبء مسؤولية صاحب العلم ، ووجوب أداءه على أصح وجوهه ، فقد أحس أبو حنيفة بالندم لأنه ضحك وهو يناظر عمرو بن عبيد فيقول : (ضحكت في عمري مرة وأنا نادم عليه ، وذلك أني ناظرت عمرو بن عبيد إمام المعتزلة فلما علمت بالظفر ضحكت ، فقال : تناظر في مسألة من مسائل التوحيد وتضحك ، والله لا أكلمك أبداً . فانقطع الكلام بيني وبينه) . (الكردري . ١٤٠١هـ . ص٢٦٤)

وبلغ الإمام أحمد – رحمه الله – مبلغاً عظيماً في الاهتمام بأداء أمانته كمعلم على أفضل وجه حيث جاءه رجل فقال له : يا أبا عبد الله اغتبتك فاجعلني في حل . فلم يقل له الإمام اذهب فأنت في حل وكفى ، ولكن قال : (أنت في حل إن لم تعد) . (الشكعة . ١٩٧٩م . ص٩٩)

إن أمانة العلم عظيمة يندرج تحتها العديد من الأخلاقيات ، فمن أمانة العلم : نسب القول لقائله ، ومنه أن يقف المعلم عند ما يعلم ، وأن يقول لما لا يعلم " لا أعلم " ، وألا يأنف إن أخطأ وعلم أن يرجع عن خطئه . وأداء الأمانة من لوازم الإيمان . قال تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) المؤمنون/٨ .

من كل ما سبق نرى أن سمو منزلة المعلم وقدره يتطلب منه القيام بواجبات وآداب تتلاءم مع مكانته ، فهو المبلغ والداعي لدين الله تعالى ، لذا فمتى أخلص عمله لله تعالى فهو لا ينتظر أجراً أو شرفاً ولا يريد من علمه سوى رضى الله تعالى ونشر العلم والمعرفة ، فالإسلام هو الداعي إلى السير في طريق العلم وهو يعتبر السير في طريق العلم أفضل من الخلو للعبادة . فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله " فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد " رواه الترمذي (سنن الترمذي ، ج ٥ ، ص ٤٨ ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، حديث رقم ٢٦٨١) . ولأن العلم المؤدي إلى الجنة في المنظور الإسلامي هو العلم الذي يُبتغى بتعلمه ونشره وجه الله تعالى ، وهو العلم الذي يتبعه العمل ، وهو العلم الذي يدعو إلى فضائل الأخلاق ، لذلك فإننا نجد أن منظور الأئمة الأربعة – رحمهم الله – في العلم وآداب المعلم متفق ومستقى في أصوله من المنظور الإسلامي .

(الفصل الرابع)

آداب المتعلم عند الأئمة الأربعة

إن لطلب العلم في الإسلام مكانة رفيعة ، بل إن طلبه واجب كما ورد في حديث رسول الله ﷺ " طلب العلم فريضة على كل مسلم " رواه ابن ماجة (سنن ابن ماجة ، ج١ ، ص٨١) . ونعلم كمسلمين أن الإسلام لم يفرض فريضة إلا وأرشدنا إلى سُبل تأديتها ، فكان هدي النبي ﷺ هو دليلنا وقائدنا ، وكانت أخلاقه ﷺ وآدابه سُنن نتبعها في كل شؤوننا . وقد سار على نهجه ﷺ صحابته ثم التابعين وتابعيهم إلى أن وصلتنا تلك الآداب . وإن كُنا قد رأينا في الفصل السابق جملة من الآداب الواجب أن يتحلى بها المعلم عند الأئمة الأربعة – رحمهم الله – مقتبسين من هدي المصطفى ﷺ فإن الباحثة في هذا الفصل تسعى لاستنباط بعض الآداب الواجب أن يتحلى بها المتعلم عند الأئمة الأربعة والتي هي بمثابة معين للمعلم في القيام برسالته تلك . ومن هذه الآداب ما يلي : –

أولاً : إخلاص النية لله تعالى في العلم : –

إن الإخلاص أمرٌ عظيم لأنه من أعمال القلوب التي لا يطلع عليها إلا الله تعالى ، لذا فقد حثنا رسولنا ﷺ على ضرورة إخلاص النية لأنها روح العمل ، فهو تابع لها ، إن صلحت صلح عمله ، وإن فسدت فسد عمله .

وإخلاص النية في العلم بأن ينوي المتعلم بطلب العلم رضاء الله والدار الآخرة ، وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهلاء ، وإحياء الدين وإبقاء الإسلام . (الزرنوجي . ١٤٠١هـ . ص٦٦)

فعلى المتعلم أن يطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول العلم وحفظه وأن يقصد بتعلمه وجه الله عز وجل ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " رواه البخاري (صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٣ ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، حديث رقم ١) .

وقال رسول الله ﷺ " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب " رواه مسلم (صحيح مسلم ، ج ٣ ، ص ١٢١٦ ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، حديث رقم ١٥٩٩) .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : (لا يُتعلم العلم لثلاث ، ولا يترك لثلاث : لا يتعلم ليماري به ، ولا ليباهي به ، ولا ليرائي به ، ولا يترك حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا رضى بالجهل منه) (المتقي الهندي.١٩٧١م . ص ٢٩٨)

كان أبو حنيفة – رحمه الله – يرى أن الإخلاص في العلم شرط للانتفاع به ، فقال (إن لم تريدوا بهذا العلم الخير لم توفقوا) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٤٨) كما أنه كان يوصي تلاميذه بقوله (مَن تعلم العلم للدنيا حرم بركته ولم يرسخ في قلبه ولم ينتفع به كثير أحد ، ومن تعلمه للدين بورك له في علمه ورسخ في قلبه وانتفع المقتبسون منه بعلمه) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٤٩) وكان يؤكد على وجوب الإخلاص في النية فيقول (وكن لله في سرك كما أنت له في علانيتك) . (بن نجيم . ١٤٠٥هـ . ص ٤٣٠)

ويؤكد الشافعي – رحمه الله – أن رضاء الناس غاية لا تدرك ، لذلك فإن الأولى عنده ابتغاء رضى الله تعالى ، حيث قال (لو جهدت كل الجهد على أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل إليه ، فإذا كان كذلك فأخلص عملك ونيتك لله عز وجل) . (البيهقي . د.ت . ص١٧٣)

كما يشير الشافعي – يرحمه الله – إلى أن مراقبة الله تعالى تعين المرء على الرجوع إلى الصواب وتحريه في قوله :

حسبي بعلمي إن نفع ... ما الذل إلا في الطمع

من راقب الله رجع ... ما طار طير وارتفع

إلا كما طار وقع

(الشافعي . د.ت . ص ٥٧)

فهو بذلك يؤكد على أن الغاية المرجوة من العلم يجب أن تكون النفع والاستفادة وليس الطمع ولا ابتغاء الجاه . وهو كذلك يقول : (ألفت هذه الكتب واستفرغت مجهودي فيها ، ووددت أن يتعلمها الناس ولا تنسب إليَّ) . (البيهقي . د.ت . ص ٢٥٨)

ويرى الإمام مالك – رحمه الله – أن مَن تعلم العلم للدنيا حُرم بركته ، وذهب أجره ، ولم ينتفع من علمه بشيء ، فكان يقول لتلميذه ابن وهب (إن كنت تريد بما تعلمت الدنيا فليس في يدك شيء) . (القاضي . د.ت . ص٢١٩)

ويروى أن مالكاً كان يحمل في كمه منديلاً مطوياً على أربع طيات ، فإذا حان وقت الصلاة نشره وسجد عليه ، فقيل له في ذلك فقال : (أجعله حتى لا تؤثر الحصى في جبهتي فيظن الناس أني أقوم الليل) . (القاضي . د.ت . ص ٢٩)

أما الإمام أحمد – رحمه الله – فكان يقول (أريد أن أكون في بعض تلك الشعاب بمكة حتى لا أعرف . قد بليت بالشهرة ، إني لأتمنى الموت صباحاً ومساءً) ، وكان يقول في مناسبة أخرى (لو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر) . (الذهبي . د.ت . ص٧٤)

ويؤكد ابن جماعة – رحمه الله – وجوب إخلاص النية لطالب العلم ويطلب منه : (أن يقصد به وجه الله تعالى والعمل به وإحياء الشريعة وتنوير قلبه وتحلية باطنه والقرب من الله تعالى يوم القيامة والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظيم فضله فإن خلصت في النية قُبل وزكى ونمت بركته ، وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع وخسرت صفقته وربما تفوته تلك المقاصد ولا ينالها فيخيب مقعده ويضيع سعيه) . (الكناني . د.ت . ص ٦٨)

ويشدد الإمام الغزالي – رحمه الله – على وجوب إخلاص النية فيقول : (أيها الولد : كم من ليال أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب ، وحرمت على نفسك النوم – لا أعلم ما كان الباعث فيه – إن كانت نيتك ، نيل عرض

الدنيا ، وجنب حطامها ، وتحصيل مناصبها ، والمباهاة على الأقران والأمثال ، فويل لك ثم ويل لك . وإن كان قصدك فيه إحياء شريعة النبي عليه السلام وتهذيب أخلاقك ، وكسر النفس الأمارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك) . (عطار . ١٣٨٦هـ . ص ١١٩)

وإذا ما تأملنا وضعنا الراهن في التوجه إلى طلب العلم وجدناه توجها يفتقر في معظمه إلى النية الخالصة ، حيث يتوجه الطالب في سن مبكرة إلى التعلم دون إدراك منه لمعنى توجهه ، وذلك يستوجب تصحيحاً للنية عند كل متعلم بلغ سناً متقدمة ليتحقق له الانتفاع المرجو من علمه والنفع به .

ثانياً : حُسن اختيار المعلم :-

ينبغي لطالب العلم أن ينظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ، ويكتسب حُسن الأخلاق منه ، ويفضل أن يكون ممن كملت أهليته ، وعُرفت عفته ، وكان أحسن تعليماً ، وأجود تفهيماً .

وينبغي أن يختار الأعلم والأورع والأسن ، كما اختار أبو حنيفة حماد بن سليمان بعد تأمل وتفكر ، وقال (أتيت حماد بن أبي سليمان فإذا هو شيخ وقور حليم يفهم ويفهم فلازمته) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٥٨) وهو في موضع آخر يقول : (كنت في معدن العلم والفقه فجالست أهله ولزمت فقيها من فقهائهم يقال له حماد فانتفعت به) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص ٥٢)

إن تلقي العلم عن الشيوخ سنة النبي ﷺ ، فالقرآن لم ينزل عليه كتاباً مكتوباً ، بل تلقاه من مقرئ يقرئه إياه ، وهو جبريل عليه السلام ، ويرى الإمام الشافعي – رحمه الله – أن الأخذ عن الشيوخ أوفر نفعاً ، لأن الطالب إن أخذ علمه من كتاب غُمَّت عليه أمور وصار يقينه في المشكلات ظنون ، لذلك قال (من تفقَّه من بطون الكتب ضَيَّع الأحكام) . (الكناني . د.ت . ص٨٧)

وهو كذلك يؤكد على أهمية المعلم ويشدد على الأخذ عنه بقوله : (لا تسكن بلداً لا يكون فيه عالم يفتيك عن دينك ولا طبيب ينبئك عن أمر بدنك) . (الرازي . ١٩٥٣م . ص ٣٢٢)

ويصف لنا الإمام مالك – رحمه الله – مَن يأخذ العلم عنهم فيقول (رجل معه تقى وورع ، وصيانة وإتقان وعلم وفهم فيعلم ما يخرج من رأسه ، وما يصل إليه غداً ، فأما رجل بلا إتقاق ولا عفة فلا ينفع به ، ولا هو حجة ولا يؤخذ عنه) . (القاضي . د.ت . ص١٧)

ويوضح الإمام مالك – رحمه الله – أهمية المعلم الجيد في تحصيل العلم عندما سأله أحد معاصريه عن طلب العلم فقال : (حسن جميل ، ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه) . (ابن الجوزي . ١٣٥٥هـ . ص ١٠١)

ويقول الإمام أحمد – رحمه الله – مُشدداً على أهمية التلقي من معلم (إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام) . (الشرباصي . د.ت . ص١٩٣)

ويؤكد الإمام الغزالي – رحمه الله – على أهمية حسن اختيار المعلم فيقول : (واعلم أنه ينبغي للسالك شيخ مرشد مرب ، ليخرج الأخلاق السوء منه بتربيته ويجعل مكانها خلقا حسناً) . (عطار . ١٣٨٦هـ . ص ١٢٧)

ومما لا شك فيه أن المعلم هو العنصر الفعال في عملية التعليم ، فعلى قدر ما يحمل في رأسه من علم وفكر ، وما يحمل قلبه من إيمان برسالته ، ومحبة لتلاميذه ، وما أوتي من موهبة وخبرة في حسن طريقة التعليم ، يكون نجاحه وأثره في أبناءه وطلابه .

ثالثاً : تعظيم المتعلم للمعلم وهيبته إياه وتواضعه له :ـ

إن من أهم ما يجب على المتعلم أن يتحلى به مع معلمه توقيره وتعظيمه وتبجيله ، لأن توقيره من توقير العلم وتعظيمه ، فمن ذلك : أن يكون معظماً له في حديثه معه ، لا يثقل عليه في السؤال ، وأن يتخير ألطف العبارات معه ، وألاّ يسأله شيئاً عند ملالته ، وألا يكثر الكلام عنده ، ومن توقيره : ألا يمشي أمامه ، ولا يجلس مكانه ، ولا يبتدئ الكلام عنده إلا بإذنه ، وعليه أن يتواضع لمعلمه ، و (أن ينظره بعين الإجلال ويعتقد فيه درجة الكمال فإن ذلك أقرب إلى نفعه به ، وكان بعض السلف إذا ذهب إلى شيخه تصدق بشيء وقال : اللهم استر عيب شيخ عني ولا تذهب بركة علمه مني) . (الكناني . د.ت . ص ٨٨)

قال الإمام الماوردي عن أوجه كمال خَلق الرسول ﷺ : (أحدهما : السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم ، الداعية إلى التقديم والتسليم ، وكان أعظم مهيب في النفوس ، حتى ارتاعت رُسُل كسرى من هيبته حين أتوه ، مع ارتياضهم بصولة الأكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة ، فكان ﷺ في نفوسهم أهيب ، وفي أعينهم أعظم ، وإن لم يتعاظم بأبهة ، ولم يتطاول بسطوة ، بل كان بالتواضع موصوفا ، وبالسهولة معروفاً) . (أبو غدة . ١٤١٧هـ . ص ٤٢)

وقد حكي أن الخليفة هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي ليعلمه العلم والأدب ، فرآه يوماً يتوضأ ويغسل رجله ، وابن الخليفة يصب الماء على رجليه ، فعَاتبَ الخليفةُ الأصمعيَّ في ذلك ، فقال : إنما بعثته إليك لتعلمه العلم وتؤدبه ، فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه ويغسل بالأخرى رجلك ؟ . (الزرنوجي . ١٤٠٧هـ . ص٥٠)

وقد لخص الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعض آداب المتعلم مع معلمه في قوله : (أن من حق العالم : ألا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب وألا تلح عليه إذا كسل ، و لا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا

تفشين لـه سـرا ، ولا تـغتـابـن عـنـده أحـداً ، ولا تطـلبـن عـثرتـه ، وإذا زل قـبلت معذرتـه ، وعـليك أن تـوقـره وتعـظـمه لله ما دام يحفظ أمـر الله ، ولا تجـلس أمـامـه ، وإن كـانـت لـه حـاجـة سـبقت القـوم إلـى خـدمـته) . (ابـن عبد البر . ١٤١٨هـ . ص ١٠٨)

يقـول أبو حنيفـة – رحمه الله – (إن لـلعـلم هـيبة وإن لـلعـلم جلالة ، فصاحب الـعلم ينبغي أن يكون له وقار وسكون وخـضوع لمن يقتبس منه) . (المكي . ١٤٠١ هـ . ص٣٤٧) وهـو يرى أن تعظيم المعـلم وهيبته والتواضـع لـه لا يجب أن يقف حـائلاً بيـن المتعـلم وبين مناقشة المـعلم ، حيث كـان أبو حنيفة يناقش أستاذه حماد بن أبـي سليمان حتـى قـال عنه أستاذه حمـاد (كـان أبـو حنيفة يجالسنا بالسمت والـوقار والـورع وكنا نغزوه بـالعلم حتـى دقق السؤال فخفت عليه من ذلك) . (الصيمري . ١٤٠٥هـ . ص٢٣)

يقـول الشافعي – رحمه الله -

أصبَحتُ مُطَّرَحَاً في معشرٍ جَـهِـلوا   حَقَّ الأديـبِ فَبَاعـوا الرأسَ بـالـذَّنَـبِ

والنـاس يجمَـعُـهم شَـمـلٌ ، وبـينـهُـمُ   في العَـقلِ فَرقٌ وفي الآدَابِ والحَسَبِ

كَمِـثلِ ما الذَهَـبِ الإبـريـزِ يَشـرُكُــهُ   فِي لَونِـهِ الصُّفرُ ، والـتفضِيل للذهَـبِ

والعُـودُ لـو لـم تَـطِـب مِنـهُ رَوَائِـحُـهُ   لَم يَفرُقِ النَّـاسُ بَـيـنَ العُودِ والحَـطبِ

(الشافعي . د.ت . ص١٩)

فـهـو يرى أن تعظيـم المعـلم وتوقيـره واجـب ، لمـا يحمـلـه مـن علم وفقـه ومـا تميز بـه عـن غيـره من منزلـة ، وهـو يـصـف لنـا حـالـه كمتـعلم بيـن يـدي مـالـك – رحـمه الله – فيـقـول (كُنتُ أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رفيقاً هيبة له لئلا يسمعَ وقعها) . (الكناني . د.ت . ص٨٨)

وعـظـمـة المـعـلم عـنـد الشـافـعي مصـدرهـا عظـمـة العـلم الـذي يحمـلـه فيقـول :

تَـعَـلَّم فَـليسَ المَرءُ يُولَـدُ عَـالِمَـاً   ولـيسَ أخُـو عِلـمٍ كَـمَـن هـوَ جَاهِلُ

وإنَّ كـبيـرَ الـقَـومِ لا عِلم عِـنــدَهُ   صَغِيرٌ إذا التَّـقَّت عَـليهِ الجَـحَـافِلُ

وإنَّ صَغِير القَومِ إن كان عَالِماً كَبِيرٌ إذا رُدَّت إليه المَحَافِلُ

(الشافعي . د.ت . ص ٧٠)

وكان للإمام مالك – رحمه الله – هيبة عظيمة في نفوس متعلميه ، قال عنها أحد معاصريه (دخلت المدينة سنة أربع وأربعين ومائة والناس حول مالك سكوت لا يتكلم أحد هيبة له) . (القاضي . د.ت . ص١٨٧) ويقول عنه أحد تلاميذه (كان مالك إذا جلس معنا كأنه واحد منا ، ينبسط معنا في الحديث وهو أشد تواضعا منا ، فإذا أخذ في الحديث – أي حديث رسول الله ﷺ - يهيبنا كلامه كأنه ما عرفنا ولا عرفناه) . (أبو زهرة . د.ت . ص٤٤)

وكان الغرباء يسألونه عن الحديث فلا يُجيب إلا في الحديث بعد الحديث وربما أذن لبعضهم أن يقرأ عليه ، وكان له كاتب قد نسخ كتبه يقال له حبيب يقرأ للجماعة فليس أحد ممن يحضره يدنو ولا ينظر في كتابه ولا يستفهم هيبة لمالك وإجلالاً له ، وكان إذا أخطأ حبيب فتح عليه مالك . (الكناني . د.ت . ص ٩٦)

أما الإمام أحمد – رحمه الله – فيقول عنه أبو عبيدة القاسم بن سلام (جالست أبا يوسف ومحمد بن الحسن ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، فما هبت أحداً منهم ما هبت إلا أحمد بن حنبل) . (أبو زهرة . د.ت . ص٩٧) ويصفه أحد تلاميذه بقوله (كان يتواضع للشيوخ تواضعاً شديداً ، وكانوا يكرمونه ويعظمونه) . (ابن الجوزي . ١٣٩٩هـ . ص٢١٤)

ومن الآداب الواجبة على المتعلم تجاه معلمه عند ابن جماعة أن ينظره بعين الإجلال ، وأن يتواضع له وأن يقلده ويدع رأيه ، فخطأ معلمه أنفع له من صوابه في نفسه ، وأن يعظم حرمته ، ويرد غيبته ، ويغضب لها ، فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس . (الكناني . د.ت . ص ٩٠)

وترى الباحثة أن تعظيم المعلم واجب على كل متعلم ، إذ هو جزء من تعظيم العلم . ولا يعرف قدر العلماء ومنزلتهم ، إلا مَن يعرف عظمة ما يحملونه ، وفضله .

رابعاً : شكر المعلم والاعتراف بفضله :-

إن من أفضل الآداب الواجب على المتعلم التحلي بها : شكر المعلم والاعتراف بفضله ، فالشكر سبب لزيادة النعم ودوامها ، قال الله تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم) إبراهيم/٧ . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " من اصطنع إليكم معروفاً فجازوه ، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم ، فإن الله يحب الشاكرين " أخرجه الطبراني في الأوسط (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ٨ ، ص ١٨١ ، باب شكر المعروف ومكافأة فاعله) ، فينبغي على المتعلم شكر معلمه برعايته وإكرامه وبالدعاء له حتى بعد موته ، (وينبغي أن يدعو له مدة حياته ، ويرعى ذريته وأقاربه بعد وفاته ، ويتعمد زيارة قبره ، والاستغفار له ، والصدقة عنه ، ويسلك في السمت والهدى مسلكه ، ويراعي في العلم والدين عادته ، ويقتدي بحركاته وسكناته في عاداته وعباداته ، ويتأدب بآدابه ولا يدع الاقتداء به) . (الكناني . د.ت . ص ٩٠)

ومن هدي الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – شكر معلمه حماد بالاستغفار له ، يقول في ذلك (ما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي ، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علماً أو علمته علماً) . (البغدادي . د.ت . ص٣٣٤) وهو كذلك يوصي تلميذه السمتي ويؤكد له على وجوب الاستغفار للمعلمين ولمن تلقى عنهم الدين . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٧٥)

والاعتراف بفضل المعلم نوع من شكره ، يقول الشافعي – رحمه الله – في مدح أبي حنيفة :

لقد زانَ البلادَ ومَن عليها　　إمامُ المُسلمِينَ أبو حنيفة
بِأحكَامٍ وآثَـار وفِقْـهٍ　　كآياتِ الزَّبُور عَلى الصحيفة
فمَا بالمَشرقين لـهُ نَظِيرٌ　　ولا بالمَغربَيْن ولا بِكُوفَة
فرحمَةُ ربِّنَا أبداً عَلَيهِ　　مَدَى الأيَّامِ مَا قُرِئَت صَحيفَة

(الشافعي . د.ت . ص٦١)

ويقول الشافعي – يرحمه الله – عن فضل ابن حنبل : (خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل) . (البغدادي . د.ت . ص ٤١٩)

وبلغ بالإمام أحمد – رحمه الله – في اعترافه بفضل الشافعي أن يقول (ما أحد مَسَّ مِحبرة ولا قلماً إلا وللشافعي في عنقه مِنة) . (الذهبي . د.ت . ص٣٦٢)

خامساً : الجد والمواظبة والملازمة :-

إن العلم لَمَّا كان أشرف الأشياء وأحسنها ، لم يحصل إلا بالتعب والسهر وهجر اللذات والراحة ، لذلك فلا بد لطالب العلم أن يصبر على تعب تلقيه العلم وتحصيله وأن يجُد كل الجد على اكتسابه ، وعليه ملازمة معلمه ما استطاع ، لأن ذلك يحقق له فائدة أكبر في تعلمه .

ويرى الطوسي أنه لابد لطالب العلم من الجد والمواظبة والملازمة فمن طلب شيئاً وجدَّ وَجَدَ ، ومَن قرع باباً ولجَّ ولَج ،وهو يؤكد على أنه يحتاج في التعليم إلى جد ثلاثة : المتعلم ، المعلم ، الأب إذا كان في الحياة ، ولا بد لطالب العلم من المواظبة على الدرس ، ولا بد له من الهمة العالية في العلم. (عطار. ١٣٨٦هـ.ص١٤٦)

يوصي الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – تلاميذه فيقول (وكن ذا همة فإن من ضعفت همته ضعفت منزلته) . (بن نجيم . ١٤٠٥هـ . ص٤٣٣) ويقول عنه يحيى بن آدم (اجتهد في الفقه اجتهاداً لم يسبق إليه أحد ، فهدى الله سبيله ، وسهل طريقه ، وانتفع الخاص والعام بعلمه) . (الكردري . ١٤٠١هـ . ص١١٠) لذلك فقد كان يحذر تلاميذه من الكسل ويراه آفة عظيمة عليهم تجنبها كي يتأتى لهم تحصيل العلم النافع . (الزرنوجي . ١٤٠١هـ . ص ٩٣)

وقال الشافعي – رحمه الله – في أثر الجد :

فإذا سَمِعتَ بأنَّ مَجدُوداً حَوَى	عُوداً فأثمَرَ في يديهِ فَصَدِّق
وإذا سَمِعتَ بِأنَّ محروماً أتى	مَاءً ليشربهُ فَغَاصَ فَحَقِّق
لو كانَ بالحِيَلِ الغِنَى لوجَدتَنِي	بنجوم أقطَارِ السَّماءِ تعلُّقِي
لكِنَّ مَن رُزِقَ الحِجا حُرِمَ الغِنَى	ضِدَّانِ مُفتَرِقَانِ أيَّ تَفَرُّقِ
وأحَقُّ خَلقِ اللهِ بالهَمِّ امرُؤٌ	ذُو هِمَّةٍ يُبلى بِرزقٍ ضَيِّقِ
ومِنَ الدَلِيلِ على القضاءِ وحُكمِهِ	بُؤسُ اللبيبِ وطيبُ عَيشِ الأحمَقِ
إنَّ الذي رُزِقَ اليَسارَ فلم يَنَل	أجراً ولا حَمداً لَغَيرُ مُوفَّقِ
والجَدُّ يُدنِي كُلَّ أمرٍ شَاسِعٍ	والجَدُّ يَفتَحُ كُلَّ بابٍ مُغلَقِ

(الشافعي . د.ت . ص٦٤)

وهويرى أن الصبر على مُرِّ التعلم أفضل من الصبر على ذل الجهل ، فيقول:

اصْبِرْ عَلَى مُرِّ الجَفَا مِن مُعلمٍ فَإنَّ رُسُوبَ العِلمِ فِي نَفَرَاتِهِ

ومَنْ لَم يَذُق مُرَّ التَّعلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ ذُلَّ الجَهلِ طُولَ حَيَاتِهِ

ومَن فَاتَهُ التَّعلِيمُ وَقتَ شَبَابِهِ فَكَبِّرْ عَليهِ أربَعاً لِوفَاتِهِ

وذاتُ الفَتَى واللهِ بِالعِلمِ والتُّقَى إذا لم يَكُونَا لا اعتِبَار لِذَاتِهِ

(الشافعي . د.ت . ص٢٩)

وملازمة المعلم من أقوى الأسباب المعينة على الانتفاع بما عنده من علم ، فهو كالنخلة المثمرة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء ، فهذا الإمام مالك – رحمه الله – يصف حاله مع معلمه فيقول (كنت آتي ابن هرمز من بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل) . (ابن فرحون . ١٣٥١هـ . ص٢٥) ويقول (كنت آتي نافعا نصف النهار وما تظلني الشجرة من الشمس أتحين خروجه ، فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أره ، ثم أتعرض له فأسلم عليه وأودعه ، حتى إذا دخل – يعني المسجد – أقول له كيف قال ابن عمر في كذا وكذا ، فيجيبني ثم أحبس عنه) . (ابن فرحون . ١٣٥١هـ . ص١١٧)

وكان تلاميذ الإمام مالك – رحمه الله – يلازمونه ملازمة طويلة ، حتى أن تلميذه عبد الله بن وهب صحبه عشرين سنة . (الكناني . د.ت . ص ٢٢٢)

وقال الحسن بن محمد الزعفراني (ما ذهبت إلى الشافعي إلا وجدت أحمد بن حنبل في مجلسه ما كان أحد ألزم للشافعي منا) . (البيهقي . ١٩٧٠م . ص٢٢٧)

وقد عدد لنا الشافعي – رحمه الله – وسائل تحصيل العلم في ستة هي :

أخِي لَن تَنَالَ العِلمَ إلا بِستَّةٍ سَأُنبِيكَ عَن تَفصِيلِهَا بِبَيَان

ذَكَاءٌ وحِرصٌ واجتِهادٌ وبُلغَةٌ وصُحبَةُ أستَاذٍ وطُولُ زَمَان

(الشافعي . د.ت . ص٨١)

ويوجب الكناني – رحمه الله – على طالب العلم ملازمة حلقة شيخه في جميع مجالسه إذا أمكن ، ويرى ذلك مما يزيد المتعلم خيراً وتحصيلاً وأدبا وتفضيلاً . (الكناني . د.ت . ص ١٤٢)

سادساً : حذف المتعلم للعلائق والتفرغ للعلم :-

من الآداب التي ينبغي على طالب العلم التحلي بها عند الأئمة الأربعة – رحمهم الله – التفرغ للعلم وحذف المتعلم للعلائق ، وعدم اشتغاله بشيء سواه ، ولا يفكر في غيره . قال الله تعالى : (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) الأحزاب / ٤ . وصدق القائل عز وجل عن نبيه ﷺ : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) الأحزاب / ٢١ .

يقول الماوردي – رحمه الله – عن إحدى الخصال التي ساعدت على كمال خُلق معلمنا الأول ﷺ : (زهده في الدنيا وإعراضه عنها ، وقناعته بالبلاغ منها ، فلم يمل إلى نضارتها ، ولم يَلهُ بحلاوتها ، وقد ملك من أقصى الحجاز إلى عِذار العراق ، ومن أقصى اليمن إلى شحر عمان ، وهو أزهد الناس فيما يُقتنى ويُدَّخر ، وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر . لم يخلّف عيناً ولا ديناً ، ولا حفر نهراً ، ولا شيد قصراً ، ولم يورّث ولده وأهله متاعاً ولا مالاً ، ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها) . (أبو غدة . ١٤١٧هـ . ص ٤٤)

رد أبو حنيفة – رحمه الله – على الرجل عندما سأله : بم يستعان على الفقه حتى يحفظ ؟ قال (بجمع الهم) ، قال : وبم يستعان على جمع الهم ؟ قال (بحذف العلائق) ، قال : وبم يستعان على حذف العلائق ؟ قال : (بأخذ الشيء عند الحاجة ولا تزد) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٥٢)

وهَمَّ بالشيء أراده (الرازي . د.ت . ص٦٩٩) فبذلك يكون أبو حنيفة قد وضح لسائله أساليب ووسائل حفظ الفقه والتي تحصل بجمع الإرادة ثم أوضح أن تحصيل جمع الإرادة يكون بحذف العلائق والشواغل ، وذلك كما بين أبو حنيفة – رحمه الله – يكون بأخذ المرء من كل شيء بقدر الحاجة إليه دون زيادة .

وهو يوصي تلميذه أبو يوسف السمتي بقوله (واطلب العلم أولاً ثم اجمع المال من الحلال ثم اشتغل بالتزوج ، فإنك إن اشتغلت بطلب المال في

وقت التعلم عجزت عن طلب العلم ودعاك المال إلى شراء الجواري والغلمان وتشتغل بالدنيا) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٧٢)

وكان يشير إلى أهمية التفرغ لطلب العلم وتقديمه على كل الأمور ، فهو يقول في وصيته لتلميذه : (إذا أردت حاجة من حاجات الدنيا فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل يغير العقل) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص ٣٥١)

يقول الشافعي – رحمه الله – :

العِلمُ مَغرَسُ كُلُّ فَخرٍ فافتَخِر   واحذر يفوتَكَ فَخرُ ذاكَ المَغرس

واعلم بأنَّ العِلمَ ليسَ يَنَالُهُ   مَنْ هَمُّهُ فِي مَطعَمٍ أو مَلبَس

إلا أخو العِلمِ الذي يُعنَى بِهِ   فِي حَالَتَيهِ عَارِيَاً أو مُكتَسِي

فاجعَل لِنفسِكَ مِنْهُ حظّاً وافِراً   واهجُر لَهُ طِيبَ الرُّقَادِ وعَبِّس

فلعَلَّ يوماً إنْ حَضَرتَ بِمَجلِسٍ   كُنتَ الرئيسَ وفَخرُ ذاك المجلِس

(الشافعي . د.ت . ص٥٣)

ويقول :

لا يُدرِكُ الحِكمَةَ مَن عُمرُهُ   يَكدَحُ فِي مَصلَحَةِ الأهلِ

ولا يَنَالُ العِلمَ إلا فَتَى   خَالٍ مِنَ الأفكَارِ والشُغلِ

(الشافعي . د.ت . ص٧١)

وهو يرى أن التفرغ لطلب العلم أفضل من الصلاة النافلة . (العبادي . ١٩٦٤م . ص ١٣)

ويرى الإمام مالك – رحمه الله – أنه لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد حتى يضربه الفقر ويؤثره على كل شيء . (الكناني . د.ت . ص٧٢) وهو يشير في ذلك إلى انقطاع طالب العلم عن كل شيء سوى علمه ، حتى أنه يصبح فقيراً من أثر تركه العمل وتحصيل الرزق وتفرغه لعلمه .

ويؤكد الغزالي – رحمه الله – على أهمية حذف المتعلم للعلائق من الاشتغال بالدنيا لأنها أمور شاغلة وصارفة ، ويرى أن تفكير الفرد إذا توزع على أمرين قصُر وقلَّ . (عطار . ١٣٨٦هـ . ص ٨٧)

كما أن طالب العلم كلما كان أورع كان علمه أنفع والتعلم له أيسر وفوائده أكثر ، ومن الورع عند الطوسي أن يتحرز عن الشبع وكثرة النوم وكثرة الكلام فيما لا ينفع . (عطار . ١٣٨٦هـ . ص ١٥٢)

فمن الضروري على طالب العلم أن يتخلق بالزهد في الدنيا والتقليل منها بقدر الإمكان مع مراعاة ألا يضر بنفسه أو بعياله ولكن عليه الاعتدال فيها مع القناعة منها ، وأن (يقنع من القوت بما تيسر وإن كان يسيرا ، ومن اللباس بما يستر مثله وإن كان خلقا فبالصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم ويجمع شمل القلب على مفترقات الآمال فتتفجر فيه ينابيع الحكم) . (الكناني . د.ت . ص ٧١)

إذا يجب على المتعلم أن يقلل من شأن الدنيا ويقتصر فيها على ما يكفي ويغني عن الناس ، لأن حرص المتعلم على الدنيا والاستكثار منها يشغله عن طلب العلم .

سابعاً : الإكثار من حمد الله وشكره كلما أدرك شيئاً من العلم :ـ

إن العلم من أجَلّ نعم الله تعالى وأحسنها ، فهو السبيل إلى الجنة وهو الطريق المؤدي للإيمان . لذلك فإنه يجب على كل متعلم شكر الله تعالى على نعمة العلم .

يقول الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – (إنما أدركت العلم بالحمد والشكر فكلما فهمت ووفقت على فقه وحكمة قلت : الحمد لله فازداد علمي) . (الزرنوجي . ١٤٠١هـ . ص١٠٧)

وكان يرى أن الذنوب سبب في حجب العلم عن صاحبه ، ولذلك فقد كان – رحمه الله – إذا أشكلت عليه مسألة واستبهمت ، قال لأصحابه : (ما هذا إلا لذنب أحدثته) . فاستغفر وربما قام فتوضأ وصلى ركعتين ويستغفر فتنشرح له المسألة . (المكي . ١٤٠١هـ . ص١٥٦)

ويؤكد لنا الشافعي – رحمه الله – على أن كل خير يحصل للمرء إنما هو بعون من الله ومساعدته ، لذلك فهو يشدد على وجوب الالتجاء إليه سبحانه وتعالى ويقول عندما سُئل عما على طلبة العلم قال : (بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه نصا واستنباطا ، والرغبة إلى الله في العون عليه ، فإنه لا يدرك خير إلا بعونه) . (الشافعي . د.ت . ص ١٩)

ويقول الشافعي – رحمه الله – مؤكداً على أن الذنوب تحجب العلم عن صاحبه :

شكَوتُ إلى وكِيع سُوء حفظي   فَأرشَدني إلى تَركِ المعاصي

وأخبرني بأنَّ العِلمَ نُورٌ   ونُور الله لا يُهدَى لِعاصي

(الشافعي . د.ت . ص٥٤)

ثامناً : مراعاة آداب المجلس :ـ

من آداب المتعلم في طلب العلم عند الأئمة الأربعة – رحمهم الله – أهمية مراعاة آداب مجلس العلم ، لأنه موضع تحفه الملائكة . ومن آداب مجلس العلم عندهم : الاستئذان ، إفشاء السلام ، عدم رفع الصوت ، الجلوس حيث انتهى المجلس ، عدم مقاطعة المعلم أثناء حديثه .

ويضيف ابن جماعة – رحمه الله – على ما سبق بقوله : (وأن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب كما يجلس الصبي بين يدي المقرى ، أو متربعا بتواضع وخضوع وسكون وخشوع ويصغي إلى الشيخ ناظرا إليه ويقبل بكليته عليه متعقلا لقوله ولا يلتفت من غير ضرورة) . (الكناني . د.ت . ص٩٧)

ولقد ضرب الأئمة الأربعة– رحمهم الله– أروع قدوة في هذا المجال ، حيث يقول الإمام أبو حنيفة –رحمه الله– لتلميذه السمتي (لا تحدث بفقهك من لا يشتهيه فتؤذي جليسك ومن قطع عليك حديثاً فلا تعده فإنه قليل المحبة للعلم والأدب) . (المكي . ١٤٠١هـ . ص٣٥٦) . ويقول له (وإياك والغضب في مجلس العلم) . (المكي . ١٤٠١هـ. ص٣٧٧)

ومر الإمام مالك – رحمه الله – بأبي الزناد – أحد أساتذته – وهو يحدث فلم يجلس إليه ، فلما لقيه بعد ذلك سأله : ما منعك أن تجلس إلي ؟ قال (كان الموضع ضيقاً فلم أرد أن أكتب حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم) . (ابن فرحون . ١٣٥١هـ . ص٢٢)

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حضر قوم من أصحاب الحديث في مجلس أبي عاصم الضحاك بن مخلد فقال لهم ألا تتفقهون وليس فيكم فقيه فجعل يذمهم فقالوا فينا رجل فقال مَن هو فقالوا الساعة يجيء فلما جاء أبي قالوا قد جاء فنظر إليه فقال له تقدم فقال له (أكره أن أتخطى الناس) فقال أبو عاصم هذا من فقهه ثم قال وسعوا له فوسعوا له فأجلسه بين يديه . (الكناني . د.ت . ص١٤٩)

أخيراً فإن المتعلم إذا عرف منزلة العلم ، وقدره ، ومكانة المعلم ، وفضله ، حرص على مراعاة آداب المجلس التي هي جزء من آدابه نحو العلم والمعلم .

تاسعاً : العناية بالمظهر العام والنظافة الشخصية :ـ

كان الأئمة الأربعة – رحمهم الله – أحرص ما يكونون على العناية بمظهرهم ونظافتهم ، وكان حرصهم على ذلك من باب احترامهم لعلمهم ، وتمسكهم بدينهم ، وسيرهم على نهج نبيهم ﷺ ، فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله " عشرة من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء " قال الراوي : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ؛ قال وكيع - وهو أحد رواته - انتقاص الماء ؛ يعني : الاستنجاء . رواه مسلم (صحيح مسلم ، ج٣ ، ص١٢٢ ، باب خصال الفطرة)

يوصي الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – تلاميذه بالاهتمام بمظهرهم فيقول (عظموا عمائمكم ووسعوا أكمامكم) . (الكناني . د.ت . ص٥٠) وذلك تعظيماً للعلم . وهو في رسالته لتلميذه السمتي يوصيه فيقول (واستجد ثيابك ، واستفره دابتك ، وأكثر استعمال الطيب) . (أبو حنيفة . ١٩٣٦م . ص٧)

أما الإمام مالك – رحمه الله – فوصفه قتيبة بقوله : كنا إذا أتينا مالكاً خرج إلينا مزيناً مكحلاً مطيباً قد لبس من أحسن ثيابه وقال مالك : (ما أدركت فقهاء بلدنا إلا وهم يلبسون الثياب الحسان) . (الكناني . د.ت . ص٩٥)

ويرى ابن جماعة – رحمه الله – شرط وجوب الاهتمام بالنظافة فيقول : (وينبغي أن يدخل على الشيخ كامل الهيئة متطهر البدن والثياب ، نظيفهما ، بعد ما يحتاج إليه من أخذ ظفر وشعر وقطع رائحة كريهة) . (الكناني . د.ت . ص ٩٥) .

والإمام الغزالي – رحمه الله – يؤكد على أن العلم فرض عين وغيره فرض كفاية ، ويجب إعطائه المقدار الذي تؤدى به فرائض الله من الوضوء والصلاة . (عطار . ١٣٨٦هـ . ص ١٣٥)

مما سبق نرى أن الأئمة الأربعة – رحمهم الله – انتهجوا في طلبهم للعلم مجموعة من السلوكيات التي يرون أن على كل طالب علم أن يحرص على التحلي بها والتي منها : حسن اختيار المعلم ، وتعظيمه ، وهيبته ، والتواضع له ، وشكره ، والاعتراف بفضله . كما أنهم رأوا وجوب الجد والمواظبة والملازمة ، وحذف العلائق ، والتفرغ للعلم ، وغير ذلك من الواجبات التي تستلزم همة عالية عند طالب العلم ، وهذه الهمة العالية تستمد طاقتها من نية طالب العلم ذاته ، وهي عند المسلم إرضاء الله تعالى .

(الفـــصـــل الــخـــامـــس)

التطبيقات التربوية لآداب المعلم والمتعلم عند الأئمـة الأربـعـة

النتـائج والتوصيات والمقترحـات

التطبيقات التربوية لبعض آداب المعلم والمتعلم عند الأئمة الأربعة

استعرضت الباحثة آداب المعلم والمتعلم عند الأئمة الأربعة في الفصول السابقة ووضحت مدى تميز مسيرتهم العلمية والتعليمية من واقعية ، وبالتالي يمكن الاستفادة من آدابهم في تحسين العملية التعليمية والتربوية ، ومن منطلق المزج بين النظرية والتطبيق ، كان هذا الفصل الذي تقترح فيه الباحثة بعض التطبيقات التربوية الممكن تحقيقها من آداب المعلم والمتعلم في واقعنا التعليمي والتربوي الحالي وهي كالتالي :

أولاً : فيما يتعلق بآداب المعلم :

١. نشر العلم وإخلاص النية لله تعالى في ذلك :-

وحتى يتمكن المعلم من إخلاص النية في تعليمه وجب عليه الالتزام بما يلي :

١. تجديد النية باستمرار ومداومة تذكر الجزاء الذي أعده الله تعالى لمعلم الناس الخير .
٢. قراءة الكتب التي تبين أهمية إخلاص النية في جميع الأمور الدينية والدنيوية .
٣. الالتزام بأحكام وقوانين المدرسة ومكان العمل كمواعيد الحضور والانصراف وأوقات الحصص .
٤. البعد عن المحرمات والشبهات والمكروهات وملازمة التوبة والاستغفار .
٥. كما أن على مؤسسات إعداد المعلمين توجيه الطلاب المعلمين إلى أهمية الإخلاص وأن تكون نواياهم في العمل للتعليمي ابتغاء مرضاة الله ومن الممكن تطبيق ذلك عن طريق تدريس مقررات أصول التربية الإسلامية والمدخل إلى التربية وغيرها .

٢. **استمرار التزود من العلم والتوسع فيه :ـ**

ومن الوسائل التي تمكن المعلم من الاستزادة من العلم والتوسع فيه ما يلي :

١. القراءة المستمرة في مجال التخصص وفي العلوم والثقافات الأخرى .
٢. الالتحاق بالدورات التدريبية العلمية .
٣. حضور الندوات والمؤتمرات العلمية والحرص على المشاركة فيها .
٤. الاشتراك في المجلات والدوريات العلمية المتخصصة .
٥. عمل أبحاث علمية في مجال التخصص .
٦. تبادل الآراءوالأفكار مع المتخصصين في مجال علمه والاجتماع المنتظم بهم
٧. زيارة المكتبات ودور النشر لمعرفة المستجدات في التخصص .
٨. متابعة الدراسة والحصول على شهادات دراسية أعلى .
٩. كما أن على كليات إعداد المعلمين تعويد الطلاب المعلمين على القراءة والاطلاع وكتابة الأبحاث لينمو لديهم الشعور بأهمية القراءة .
١٠. كذلك فإن على إدارات التعليم تزويد المدارس بالمصادر والمراجع الجديدة ليستفيد منها المعلمون في زيادة معرفتهم وللاستفادة منها أثناء تحضير وتقديم الدروس .

٣. **العمل بمقتضى العلم :ـ**

ولكي يتحقق ذلك في المعلم وجب عليه الالتزام بالتالي :

١. الحرص على الالتزام بالأخلاق الإسلامية في التعامل مع طلابه وزملائه ومجتمع عمله .
٢. دوام مراقبة الله عز وجل في كل عمل يقوم به أو يدعو إليه .
٣. الحرص على مراقبة أفعاله وتصرفاته التي تصدر منه وتقييمها .
٤. كما أن على مدراء المدارس ووكلائها حث المعلمين على العمل بمقتضى العلم وتوجيههم إلى أهمية التطبيق العملي للمعارف والعلوم وخاصة الإسلامية منها .

٤. الموضوعية :-

ولكي يوصف المعلم بالموضوعية وجب عليه التحلي بما يلي :

١. التواضع للطلاب وعدم الاستعلاء عليهم والاستفادة منهم .
٢. التراجع عن آرائه إذا وجد أصوب منها .
٣. تقبل الرأي الآخر .
٤. إيقان المعلم بأن العلم الذي عنده ليس إلا جزء من كل ، وأن المرء غير قادر على تحصيل كل العلم لأن ذلك من خصائص الله عز وجل وحده .
٥. كذلك فإن على مدراء المدارس توجيه المعلمين إلى وجوب التزام بالموضوعية وأن يلتمسوا العلم حيث وجدوه وألا يأبهوا إن أخطئوا أن يعترفوا بخطئهم .

٥. التواضع :-

ومن أهم صور التواضع التي على المعلم الالتزام والتحلي بها التالي :

١. إلقاء السلام على الطلاب عند دخول الفصل والخروج منه وفي الممرات والساحات المدرسية .
٢. التبسم والبشر وطلاقة الوجه .
٣. التعامل مع الطلاب بالرفق واللين من غير ذل أو تهاون مطلق .
٤. احترام الطلاب وتقديرهم وعدم السخرية منهم .
٥. وعلى مدير المدرسة أن يكون قدوة للمعلمين في التواضع وأن يبين لهم أهمية التواضع ودوره في تقبل الطلاب للمعلمين وبالتالي تقبلهم لنصحهم وتوجيههم .

٦. العِزة :-

ومما يخلق عند المعلم شعوره بالعزة دون الوصول إلى درجة الغرور التزامه بالآتي :

١. معرفته بأهميته ودوره في بناء المجتمع .

٢. أن يصون علمه عمن لا يطلبه .
٣. إيقان المعلم بأن عزته مصدرها ما يحمل في صدره من كتاب الله ، وما يحمل في يديه من هدي للأمة .
٤. عدم الاستهانة بما عنده من علم وعدم استصغاره .
٥. كما أن على كليات إعداد المعلمين توجيه الطلاب المعلمين إلى أهمية ودور المعلم في بناء المجتمع وإصلاحه ، وأن يبينوا لهم أن التعليم هو رسالة النبي ﷺ ويساعد على ذلك تدريسهم سيرة معلمنا الأول ﷺ وصفاته التي تحلى بها كمعلم .

٧. **الحلم والصبر :-**

ومن الأساليب التي يتجلى فيها الحلم والصبر ما يلي :

١. سعة الصدر وتقبل آراء الطلاب ومناقشتهم ومحاورتهم .
٢. التلطف في الحديث مع الطلاب والإقبال عليهم .
٣. التبسم والانبساط في الحديث مع الطلاب .
٤. العفو عن أخطاء الطلاب وتقصيرهم وقبول أعذارهم .
٥. حسن مخاطبة الطلاب وطيب التعامل معهم .
٦. كذلك فإن على مدراء المدارس حث المعلمين على الصبر والحلم مع الطلاب وأن يضعوهم موضع أبنائهم فيتحملوا عنهم ما يتحمله الآباء من أجل أبنائهم .

٨. **الاتصال بالحياة الاجتماعية :-**

ومما يساعد المعلم على ذلك ما يلي :

١. التعرف على الطلاب والتعرف على ظروفهم الأسرية والمعيشية .
٢. القيام بالواجبات الإسلامية تجاههم كزيارة المريض والتعزية للمصاب والتهنئة بالأعياد .
٣. الاتصال بالطلاب خارج محيط المدرسة .
٤. تفقد الغائب منهم والسؤال عنه .

٥. وعلى مدير المدرسة والهيئة الإدارية في المدرسة أن يخلقوا جواً من الاتصال الاجتماعي بين المعلمين والطلاب ، وأن يتيحوا وقتاً للتواصل الاجتماعي المتبادل بينهم وبين المعلمين والطلاب ، فيجعلوا من البيئة المدرسية بيئة أسرية يهتم كل فرد فيها بباقي الأفراد .

٩. العناية بالمظهر العام والنظافة الشخصية :ـ

وعليه فإن على المعلم الالتزام بما يلي :

١. الاهتمام بالنظافة الجسمية وإزالة الأوساخ عن البدن .
٢. ارتداء الثياب النظيفة واللائقة .
٣. استخدام الطيب .
٤. العناية بالسواك والمداومة على استعماله .
٥. الحرص على قص الأظافر وترتيب الشعر وإزالة النجاسة والاغتسال .
٦. كما أن على مدراء المدارس توجيه المعلمين إلى أهمية العناية بالنظافة الجسمية والاهتمام بالمظهر العام لأنهم قدوة لطلابهم يسيرون على نهجهم ويتتبعون خطاهم .

١٠. التزام الأخلاق والقيم الإسلامية :ـ

وعلى كل معلم التخلق بالأخلاق الإسلامية والتزام الآتي :

١. قراءة الكتب التي تناولت أخلاق النبي ﷺ .
٢. الحرص على الاقتداء بأخلاق النبي ﷺ .
٣. عدم التلفظ بالألفاظ النابية .
٤. الاستئذان عند دخول الفصل وعند الخروج منه وقبل استخدام أدوات الغير .
٥. إلقاء السلام على الطلاب والزملاء في أماكن الالتقاء بهم .
٦. كذلك فإن على كليات إعداد المعلمين توجيه الطلاب المعلمين إلى الأخلاق الفاضلة والقيم الإسلامية وتربيتهم عليها ويمكن تطبيق ذلك من خلال تدريسهم مقررات السيرة النبوية .

١١. القدوة :ـ

ولكي يكون المعلم قدوة لطلابه وجب عليه الآتي :

١. الانضباط في مواعيد الحضور والانصراف وفي أوقات الحصص والحرص على الحضور .
٢. الالتزام بأداء الواجبات الدينية في أوقاتها كالصلاة والصوم .
٣. الإكثار من حمد الله وشكره ومداومة الاستغفار .
٤. التحلي بالأخلاق الإسلامية في المأكل والمشرب والملبس .
٥. الحرص على النظافة والتطيب .
٦. عدم التفوه بالألفاظ النابية وعدم القيام بحركات غير لائقة .
٧. الابتعاد عن المعاصي وملازمة التوبة .

١٢. المسؤولية والأمانة :ـ

ولذلك فإن على المعلم الحرص على ما يلي :

١. معرفته بمسئوليته وبالأمانة الملقاة على عاتقه وأنه مساءل عنها أمام الله تعالى يوم القيامة .
٢. استشعار الوقوف أمام الله تعالى وسؤاله عن الأمانة .
٣. وضع كل طالب موضع الابن والتعامل معه على هذا الأساس .
٤. التركيز على تأديب الطلاب وتهذيبهم قبل تعليمهم .

ثانياً: فيما يتعلق بآداب المتعلم :

١. إخلاص النية لله تعالى في العلم :ـ

فإن على كل طالب علم يرجو الإثابة في طلبه الالتزام بما يلي :

١. تجديد النية في طلب العلم لأن ذلك أساس لتحصيل الأجر .
٢. قراءة الكتب التي توضح أهمية العلم ومنزلة طلبه والأجر المترتب على تحصيله .
٣. ترك المحرمات والبعد عن المعاصي والآثام .

4. ألا يكون اهتمامه منصباً على الدرجات المحصلة بل على الأجر والثواب المرجو .
5. الالتزام بأحكام المدرسة وقوانينها .

2. حُسن اختيار المعلم :-

وإذا ما أتيح للطالب اختيار المعلم وجب عليه اختياره على الأسس التالية :

1. البحث عن المعلم الأجدر بالتلقي عنه وهو الأفضل ديناً وخلقاً ، والأجود تعليماً .
2. الاستخارة واستشارة أولي العلم والمعرفة فيمن يفضل الأخذ عنه .
3. احترام المعلم لأن ذلك سبب للاستفادة منه .

3. تعظيم المتعلم للمعلم وهيبته إياه وتواضعه له :-

ولكي يتحقق في المتعلم ذلك تجاه معلمه وجب الالتزام بما يأتي :

1. تبصير المتعلم بأهمية العلم وقدره وفضله وما يترتب على ذلك من أهمية تعظيم المعلم وهيبته والتواضع له .
2. عدم ذم المعلم أو التنقيص من حقه .
3. احترام المعلم وتوقيره .
4. عدم تصيد أخطاء المعلم وعدم التشهير به .
5. عدم الإثقال عليه في السؤال .
6. تخير ألطف العبارات في الحديث معه .
7. ألا يجلس مكانه ولا يبتدئ الكلام عنده إلا بإذنه .

4. شكر المعلم والاعتراف بفضله :-

ولكي يتمكن المتعلم من أداء واجبه تجاه معلمه عليه أن يتحلى بالآتي :

1. الدعاء للمعلمين والاستغفار لهم .
2. القيام بحقوق المعلم من الطاعة والأدب في حضرته .

٣. الاعتراف بفضل المعلم ودوره في المجتمع .

٤. أن يعظم حرمة معلمه ويرد غيبته ويغضب لغضبه .

٥. الجد والمواظبة والملازمة :-

ولكي يتحقق ذلك كان لابد من الآتي :

١. تحريض المعلم للمتعلم على الجد والمواظبة ومكافأة الطالب المجد ولاسيما الذي يبحث عن العلم خارج نطاق المنهج المدرسي .

٢. إيقان المتعلم بأن العلم لا يحصل إلا بالجد والسهر والتعب .

٣. معرفة الطالب أن المواظبة والملازمة شرطان لتحصيل قدر أكبر من العلم والأدب .

٦. حذف المتعلم للعلائق والتفرغ للعلم :-

ويتم ذلك من خلال ما يلي :

١. التفرغ للعلم وعدم الاشتغال بشيء سواه .

٢. القراءة والمطالعة الدائمة للكتب المفيدة في أوقات الفراغ .

٣. الزهد في الدنيا والإقلال منها بقدر المستطاع .

٤. الاقتصاد في المأكل والمشرب والملبس وفي النوم .

٥. معرفة المتعلم بأن أفضل أوقات تحصيل العلم هو سن الشباب .

٧. الإكثار من حمد الله وشكره كلما أدرك شيئاً من العلم :-

ولكي يحقق المتعلم ذلك وجب على المعلم الأخذ بيده عن طريق :

١. تحفيز المتعلم على الالتزام الديني والأخلاقي .

٢. تعويد المتعلم على شكر الله تعالى عند تعلمه شيئاً جديداً .

٣. غرس الشعور بأهمية شكر الله تعالى في زيادة إدراك العلم .

٤. عرض نماذج وشخصيات إسلامية متفوقة علمياً ومتابعة أنماط حياتهم اليومية للاقتداء بهم .

٥. تعريف المتعلم بأن كل خير يحصل للمرء إنما هو بعون من الله لذلك فمن الواجب عليه الالتجاء إليه سبحانه وتعالى .

٨. **مرآعاة آداب المجلس :-**

ومن ذلك :

١. الاستئذان عند دخول الفصل وعند الخروج منه .
٢. إفشاء السلام على زملائه ومعلميه داخل الفصل وخارجه .
٣. خفض الصوت عند التحدث مع المعلم أو عند سؤاله .
٤. عدم مقاطعة المعلم عند حديثه والانتظار حتى يفرغ .
٥. البعد عن الضحك أثناء تلقي العلم .

٩. **العناية بالمظهر العام والنظافة الشخصية :-**

فعلى طالب العلم ما يلي :

١. الاهتمام بنظافة الجسد والاغتسال .
٢. الحرص على قص الأظافر وترتيب اللحية والشعر .
٣. المداومة على السواك والعناية بنظافة الفم .
٤. ارتداء الملابس اللائقة والنظيفة .
٥. استعمال الطيب .

النتائج

توصلت الباحثة من خلال ما سبق إلى بعض النتائج التي تتصل بحياة الأئمة الأربعة نشأةً وتكويناً ، وما أسهموا به من اجتهادات وممارسات في مجال التربية والتعليم ، والآداب التي انتهجوها كمعلمين ومتعلمين .

ويمكن إجمال هذه النتائج فيما يلي :

١. أن عصر الأئمة الأربعة من أنضر العصور الإسلامية نشاطاً في التعليم ، فقد كانت حلقاتهم تضم آلاف المتعلمين ، وقد أدى ذلك إلى ظهور المذاهب الأربعة التي اعتمد عليها الكثير من المسلمين منذ ذلك العصر إلى وقتنا الحاضر .
٢. أخذ الأئمة الأربعة علمهم من المنبع الأصلي ، وتأثروا بمدرستي مكة والمدينة حيث جمعوا بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وهي الأصول الإسلامية الثابتة .
٣. أن عبادة الله وتوحيده هي الأصل الأساسي لمنهج التربية عند الأئمة الأربعة ، لذلك فإن الإخلاص في التعليم والتعلم هو الأساس في العمل التربوي عندهم ، حتى يحقق الغاية المرجوة منه ، ألا وهي نشر العلم ومحو الجهالة عن الأمة المسلمة .
٤. إن المبادئ التربوية عند أئمة المذاهب الأربعة تعتمد في تحقيق أهدافها على ترجمة العلم إلى عمل ، وبدون ذلك العمل لا يصلح للعلم معنى ، فالإيمان لا يرد في القرآن الكريم إلا مقترنا بالعمل ، والفصل بين العلم والعمل ، أو بين النظرية والتطبيق ليس له مكان في الإسلام ، ولا في مبادئ التربية عند الأئمة الأربعة .
٥. اهتم الأئمة الأربعة – رحمهم الله – اهتماما كبيرا بالعلم والتعليم ، فقد بينوا فضل العلم وشرف حمله ونشره ، الأمر الذي انعكس على تقديرهم للعلماء والمعلمين ، ومعرفتهم لفضل المعلمين ومكانتهم .

٦. ضرب أئمة المذاهب الأربعة أروع الأمثلة في الحث على طلب العلم ، والجمع بينه وبين العمل ، والسعي لتحصيله ، والصبر على الشدائد لأجل تعلمه .

٧. أن التربية والتعليم عند أئمة المذاهب الأربعة تلتزم بمجموعة الفضائل الأخلاقية التي تربط النظام التعليمي وتحكم علاقاته ، ومن ثم فهو نظام مبني على احترام الإنسان ، واحترام حقوقه وحريته ، واحترام حقوق الغير وحريته ، وإعطاء كل ذي حق حقه .

٨. وضع الأئمة الأربعة واجبات وآداب على المعلم الالتزام بها حتى يستطيع تحقيق هدفه من التعليم كأن يتواضع للمتعلمين ، وأن يعتز بما لديه من علم ، وأن يجعل من نفسه قدوة للمتعلمين ، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتأديبها ، وأن يكون عاملا بعلمه ، مخلصا في عمله ونيته ، حتى يتعلم الطلاب من سلوكه كما يتعلمون من قوله وعلمه .

٩. أن آداب العالم والمتعلم عند أئمة المذاهب الأربعة هي أساس الكثير من آداب المعلم والمتعلم التي ينادي بها التربويون في العصر الحاضر .

التـوصيـات

اعتمـادا على النتائـج التي توصـلت إليهـا البـاحـثة ، فـإن الدراسـة تـوصـي بمـا يلي :

١. ضـرورة العـودة إلى مـصادرنا الإسـلامية الأصيـلة والمـتمـثلة في القرآن الكريم والسـنة المطـهرة ، والالتزام بتعاليم الدين الإسلامي وتطبيقها في جميع الميادين وخاصة في الميدان التربوي .

٢. وجـوب العـودة إلى التراث الإسـلامـي الفكـري الضـخم ، والبحـث فيه ، وفـي آراء المفكـرين والمـربين المسـلمين . لأن في ذلك طريقـا لإثـراء الفكـر التربوي من آراء المعـلمين المسـلمين ومبادئهـم وآدابهـم .

٣. أهميـة تطبيق مـبدأ حـرية الإنـسان فـي مجـال التربية ، وخـاصـة حـرية اختيار المـعلم في مـراحل الـتعليم العـالي ، والعمـل على تنمية الإرادة الإنسانية لدى الطـالب ، فذلك يسـاعد علـى معـرفة الأفضل بين المـعلمين ، فالأفضـل هو من سيجتمـع حوله المتعلمون ، وهو الذي سينجذبون إليه ، وبالتالي فهـو القادر علـى تربيتهـم قبل تعليمهم لأن الطـالب سيتـقبل منه .

٤. ضرورة اقتران النظـر بالتـطبيق العـملي في المجـالات التربوية المختـلفة .

٥. وجـوب الالتزام بالسلوك الإسلامي الموحـد ، والذي لا يلغـي الفـوارق الذاتية بين البشر وإنما يسمـح بوجـود درجـات من الاخـتلاف ، كلّ على قدر جهـده وعمـله .

٦. لابـد أن تتم العـملية التربويـة عـن طـريق المشـاركـة بين المعـلمين والمتـعلمين ومـساهمتهم فـي تنفـيذ أهـداف التربية الإسلامـية في دقـة وإتقـان من أجـل إعـداد المسلم الصـالح من حيث الدفـاع عن الكتاب والسـنة والتـأكيد علـى المصـلحـة العـامـة .

المقترحات

امتداد لهذه الدراسة ، تقدم الباحثة بعض البحوث المقترحة ومنها :

١. دراسة تتناول المكانة التربوية لعصر الأئمة الأربعة .

٢. دراسة تتناول بعض المفاهيم التربوية الحديثة مثل مفهوم التربية المستمرة ، وذلك في ضوء الفكر التربوي الإسلامي وخاصة عند الأئمة الأربعة ، وما يدل عليه هذا المفهوم في الإسلام .

٣. دراسة تتناول التعرف على مدى التزام المعلم والمتعلم في العصر الحاضر بالآداب الإسلامية ميدانياً .

٤. دراسة تتناول أساليب الاستفادة من الفكر التربوي الإسلامي في مجال التربية .

٥. دراسة تعرض أساليب التربية والتعليم في الفكر التربوي الإسلامي ومدى مساهمتها في مجال التربية لخدمة الفكر التربوي الإسلامي .

٦. دراسة تتناول التأصيل الإسلامي لطرق التدريس .

قائمـة المصادر والمـراجـع

أولاً : القـرآن الكـريـم .

ثانياً : المصــادر والمـراجـع :

١- أبـو حنيفـة : الـنعمـان بـن ثابـت ، العــالم والمتعلم . تحقيق : محمـد رواس قلعة جي وعبد الوهاب الهندي الندوي . ط١ . حلب : مطبعة البلاغة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٢- أبو حنيفة : النعمـان بن ثابـت ، وصـية الإمـام الأعظـم أبي حنيـفة النعمان بن ثابت إلـى تلميذه يوسـف بـن خـالـد السـمتي البصـري . مصـر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٩٣٦م .

٣- أبـو زهـرة : محمـد ، ابـن حنبل حياته وعصـره – آراؤه وفقـهـه . القاهـرة : دار الفكـر العـربي ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٤- أبـو زهـرة : محمـد ، تـاريخ المذاهب الإسـلامية . الكتاب الثانـي . القاهـرة : دار الفكـر العـربي ، د.ت .

٥- أبو زهـرة : محمد ، مـالك حياته وعـصره – آراءه وفقهـه . القاهـرة : دار الفكر العربي ، د.ت .

٦- أبو زيـد : بكر بن عبد الله ، حلية طـالب العلم . ط٣ . المملكة العربية السعـودية : دار ابن الجوزي ، د.ت .

٧- أبـو غـدة : عبد الفتاح ، الرسـول المعلـم ﷺ وأساليبه فـي التعـليم . حـلب : مكتب المطبوعات الإسلاميـة ، ١٤١٧هـ .

٨- الأصبهانـي : أبو النـعيم ، حلية الأوليـاء وطـبقات الأصـفياء . ج٩ . ط١ . القاهـرة : مكـتبة الخـانجـي ، د.ت .

٩- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ، صفة الصفوة . ط١ . ج٢ . الهـند : دائرة المعارف العثمـانية ، ١٣٥٥هـ .

١٠- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ، مناقب الإمام أحمد . تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي . القاهرة ، ١٣٩٩هـ .

١١- ابن القيم الجوزية : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، أعلام الموقعين عن رب العالمين . ج١ . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، د.ت .

١٢- ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان . ج ٣ . ط١ . مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨م .

١٣- ابن عبد البر : النمري القرطبي ، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء . بيوت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

١٤- ابن عبد البر : النمري القرطبي ، جامع بيان العلم وفضله . ط٢ . ج١-٢ . بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤١٨هـ .

١٥- ابن عبد ربه : أحمد بن محمد ، العقد الفريد . ج٣ . طبعة القاهرة الأولى ، ١٣١٠هـ .

١٦- ابن فرحون : برهان الدين بن محمد ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب . طبعة مصر الأولى ، ١٣٥١هـ .

١٧- البخاري : محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري . تحقيق : مصطفى ديب البغا . بيروت : دار ابن كثير – اليمامة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١٨- البغدادي : أحمد بن علي الخطيب ، تاريخ بغداد . ج٤-١٣ . بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

١٩- بن نجيم : زين العابدين بن إبراهيم ، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٢٠- بن هشام ، السيرة النبوية . ج٢ . القاهرة ، ١٩٥٥م .

٢١- البيهقي ، مناقب الشافعي . تحقيق : أحمد صقر . ج١ . ط١ . دار التراث ، ١٩٧٠م .

٢٢- الترمذي : محمد بن عيسى ، سنن الترمذي . تحقيق : أحمد محمد شاكر . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د بت .

٢٣- التميمي البستي : محمد بن حبان بن أحمد ، صحيح ابن حبان . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٢٤- الجندي : عبد الحليم ، أحمد بن حنبل . ط٢ . القاهرة : دار المعارف ، د بت .

٢٥- الحنبلي : ابن عماد أبو الفلاح عبد الحي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ج٢ . القاهرة : مكتبة القدس ، ١٣٥٠هـ .

٢٦- الذهبي : محمد بن أحمد ، تذكرة الحفاظ . ج١ . دار إحياء التراث ، د بت .

٢٧- الذهبي : محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء . تحقيق : حسين الأسد . ج٦ . ط١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ .

٢٨- الذهبي : محمد بن أحمد ، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن . ط٢ . مكة المكرمة : المكتبة الإمدادية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٢٩- الرازي : أبو حاتم ، آداب الشافعي ومناقبه . مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ، ١٩٥٣م .

٣٠- الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح . بيروت : دار القلم ، د بت .

٣١- الزرنوجي : برهان الإسلام ، تعليم المتعلم طريق التعلم . تحقيق : مروان قباني . ط١ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٣٢- الزواوي : مسعود ، مناقب الإمام مالك . القاهرة : مطبعة الخانجي ، د.ت .

٣٣- السيوطي : جلال الدين ، تاريخ الخلفاء . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٢م .

٣٤- السيوطي : جلال الدين بن عبد الرحمن ، كتاب الموطأ . تحقيق : أحمد شاكر ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، د.ت .

٣٥- الشافعي : أبو عبد الله محمد بن إدريس ، الرسالة . تحقيق : أحمد محمد شاكر . د.ت .

٣٦- الشافعي : أبو عبد الله محمد بن إدريس ، ديوان الشافعي . بيروت : المكتبة الشعبية ، د.ت .

٣٧- الشرباصي : أحمد ، الأئمة الأربعة . بيروت : دار الجيل ، د.ت .

٣٨- الشكعة : مصطفى ، الأئمة الأربعة . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٩م .

٣٩- الشيباني : أحمد بن حنبل ، المسند . مصر : مؤسسة قرطبة ، د.ت .

٤٠- الشيرازي : أبو بكر بن هداية الله الحسيني ، طبقات الفقهاء . بغداد : المكتبة العربية ، ١٣٥٦هـ .

٤١- الصيمري : حسين بن علي ، أخبار أبي حنيفة وصاحبيه . ط ٢ . بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٤٢- طاش كبرى زاده : أحمد بن محمد بن مصطفى ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم . تحقيق : كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور . ج٢ . القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨م .

٤٣- العبادي : أبو عاصم محمد بن أحمد ، طبقات الفقهاء الشافعية . طبعة ليدن ، ١٩٦٤م .

٤٤- عطار : أحمد عبد الغفور ، آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الإسلامية . ط٢ . بيروت ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م .

٤٥- علي : سعيد إسماعيل ، رؤية إسلامية لقضايا تربوية . القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٩٢م .

٤٦- عياض : القاضي ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٢٢٩٣ .

٤٧- الغزالي : أبو حامد ، إحياء علوم الدين . ج١ . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، د.ت .

٤٨- فوده : حلمي محمد ، وآخرون ، المرشد في كتابة الأبحاث . جدة : دار الشروق ، ١٩٩١م .

٤٩- قرضاوي : يوسف ، الرسول والعلم . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٢٠هـ .

٥٠- القزويني : محمد بن يزيد بن ماجة ، سنن ابن ماجة . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت : دار الفكر ، د.ت .

٥١- الكتاني : محمد المنتصر ، الإمام مالك . ط٣ . بيروت : دار إدريس للتأليف والترجمة والنشر ، ١٣٩٢هـ .

٥٢- الكردري : حافظ الدين بن محمد ، مناقب أبي حنيفة . ج٢ . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٥٣- كلكل : محمد أديب ، الفقه المبسط في المذهب الشافعي . ط١ . مكتبة دار الدعوة ، ١٩٦٩م .

٥٤- الكناني : ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم . بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

٥٥- المتقي الهندي : علاء الدين علي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال . تحقيق : بكري حياني وصفوة السقا . ج١٠ . حلب : مكتبة التراث الإسلامي ، ١٩٧١م .

٥٦- المكي : الموفق بن أحمد ، مناقب أبي حنيفة . ج١ . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٥٧- الميداني : عبد الرحمن حسن حبنكة ، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها . ط١ ، د.ت .

٥٨- النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب ، سنن النسائي . تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة . ط٢ . حلب : دار مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٥٩- النيسابوري : مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت .

٦٠- الهيثمي : أحمد بن حجر ، الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان . تحقيق : خليل الميس . ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ .

٦١- الهيثمي : الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر . ج١، ٧ ، ٨ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٦٢- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء . ج١٧ . دار إحياء التراث العربي ، ١٩٣٨م .

ABSTRACT

Title of study : " The Teacher and Student's Principles as seen by the Four Imams "
Presented by the researcher : Rehab Abdulsalam Makky .
Objectives of the Study :

1. Recognizing the majority of characteristics, skills, and morals essential to the teacher regarding the fearing of God, scientific mastery, and endowment of noble ethics.
2. Recognizing the majority of characteristics, and essential principles needed by the student for religious commitment and decent ethics.
3. Attaining the majority of obligations needed by the teacher to teach students with great efficiency and adequacy.
4. Revealing the major principles needed by the teacher for his humane intercourse with the students.
5. Reaching the basic tasks needed by the student to elevate his learning abilities and good use of what he receives from his teacher.
6. Recognizing the sum of obligations which commits the student to its behavior towards the teacher.

Course of Study : The researcher used the deductive method in this study.
Chapters of the Study : This study consists of the following chapters :
Chapter One : An introductory chapter which includes the general frame of the study.
Chapter Two : In this chapter the researcher dealt with the biographies of the four Imams.
Chapter Three : Through this chapter the researcher presented the principles a teacher must endow.
Chapter Four : In this chapter the researcher presented the principles of the education seeker.
Chapter Five : In this chapter the researcher suggested pedagogical exercises for some of the teacher/student principles as seen by the four Imams.
Chapter six : In this chapter the researcher presented the most significant findings, recommendations, and suggestions, Among the major findings are :

1- The age of the four Imams was one of the most blooming ages of Islam in educational activities.
2- The four Imams took their education from its original source and were influenced by the two schools Makkah and Medina as they joined between The Holy Quran and the sunna, the two established foundations of Islam.
3- The worship and monotheism of God are the main foundation of pedagogical methodology as seen by the four Imams; therefore, they considered integrity the key to pedagogical work.
4- The four Imams' pedagogical principles depend on converting knowledge to deeds.
5- The principles of the four Imams coordinate with many of the teacher/student principles claimed by today's educationalists.

Among the recommendations are :

1- The importance of returning to the roots of our Islamic foundations presented in The Holy Quran and purified Sunna.
2- The necessity of returning to the grand ideology of our Islamic heritage and enriching the educational ideology through research.
3- The necessity of associating theory with practical application in different educational fields.
4- The educational procedure must be accomplished through the participation of teacher and students and their contribution in fulfilling the objectives of Islamic education in accuracy and mastery.